

معالم
في طريق المطامح والعزائم

(سبعة وثلاثون توجيهاً لإحراز الفضل والنبوغ)

محمد نعمان الدين الندوي

الناشر
معهد التعليم والتربية
بالا غنج، لكناؤ – الهند



سلسلة مطبوعات المهد

(١٠)

معالم
في طريق المطامح والعزائم
(سبعة وثلاثون توجيهاً لإحراز الفضل والنبوغ)

محمد نعمان الدين الندوي

مدير معهد التعليم والتربية

لكناؤ (الهند)

اعتنى به

محمد حسان السنبهلي

سكرتير لجنة التأليف والنشر، معهد التعليم والتربية

بالا غنج، لكناؤ — الهند

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

الكتاب : معالم في طريق المطامح والعزائم

المؤلف : محمد نعمان الدين الندوي

Mobile: +91-9044494099
E-mail: mnnadvi90@gmail.com

اهتم بالطبع : عبد الكريم الصديقي الندوي
Mobile: +91-9452125145

جهة النشر : معهد التعليم والتربية
بالاغنج، لكناؤ (الهند)

يطلب من:

١. المكتبة الندوية، ندوة العلماء، لكناؤ
٢. مكتبة الشباب الجديدة، شارع ندوة، لكناؤ
٣. مكتب معهد التعليم والتربية، بالا غنج، لكناؤ

MAHAD-AL-TALEEM WA-AL-TARBIA
BY: MOHD. NOMANUDDIN NADWI
(544/42-A) MARI MATA ROAD, BALA GANJ, CHOWK,
LUCKNOW – 226003 – U.P. (INDIA)

تقديم

بقلم: صاحب المعالي الشيخ الدكتور سعيد الرحمن الأعظمي الندوي
مدير دار العلوم لندوة العلماء
ورئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"، لكناؤ، (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرني أن أطالع كتاب (معالم في طريق المطامح والعزائم) لمؤلفه الأخ الكريم العزيز أديب اللغة والآداب العربية الأستاذ الشيخ محمد نعمان الدين الندوي وأستفيد منه معاني العصامية التي تعبِّر عن معنى البلوغ إلى مكانة الشرف والسيادة من خلال المجهودات التي يبذلها الإنسان أصالةً، لإحراز الشرف والمكانة الرفيعة دون أن يعتمد في ذلك على سيادة وشرف الآباء والآخرين، بالعكس من العظامي الذي يفتخر بسيادة وشرف آبائه ويجعلهم سُلماً للوصول إلى مكانة السيادة والشرف.

وكذلك كلمة الإبداع التي تعني: إحداث شيئ بديع، والإتيان بالشئ على غير مثال سابق، والمبدع بمعنى البديع الذي يأتي بشيئ جديد لم يسبق له مثال، كما في قوله تعالى (بديع السماوات والأرض) يعني أوجد الله سبحانه تعالى السماء والأرض بحيث هو المبدع الذي لا يُتصور له مثال في أي زمان ومكان، وذلك هو ما يقوله الفلاسفة والحكماء في عصرنا الحاضر ويعبرون عن معنى الإبداع بإيجاد شيئ جديد من عدم، كما أن الابتداعية بمعنى الخروج عن أساليب القدماء بإيجاد أساليب

جديدة للتعبير عن المفاهيم البديعة، وبمعنى إيثار الحس والعاطفة على العقل والمنطق، مع ترك الأسلوب القديم باختيار أساليب جديدة للتعبير والبيان عن المفاهيم.

وتحت هاتين الميزتين تتوافر مع هذا الكتاب إيضاحات وأضواء على معاني النبوغ والعبقرية بأسلوب بديع وبإلقاء أضواء مشعة بشرح واضح جلي بعبارات بليغة وإشارات فصيحة وبيان فروق بين العبقرية والنبوغ ووضع معالم في طريقهما، مع تقديم مشورات لطلبة العلم بتقدير الوقت الذي إذا فات فلن يرجع ولا يمكن تلافيه في أي حال، بينما يمكن ذلك لكل شيئ مهما كان غالياً، ولكل ثروة مهما كانت قيِّمةً، وقد صرح المؤلف لهؤلاء الطلبة بإتقان كتاب واحد في أي فن من غير أن يبرزوا في الميدان قبل النُّضج فيه، إلى غير ذلك من وصايا لطالب العلم والفن، مثلاً:

- كن عالي الهمة ولا تأخذ العلم من كل من جلس معلماً مع الالتزام بالأدب مع معلميك. كن حريصاً على تنمية المواهب والمواظبة على إتقان عملك مع الاهتمام الكامل بصيانة الوقت وتوفير الفرص واغتنامهما، بدون مبالاة بالموانع الطارئة من المرض، أو حدوث مفاجئات من العوائق الموقتة في السباق العلمي والمعرفي.

هكذا زود طلابَ العلم بالنصائح والوصايا، لكي يتخرجوا بأغلى زاد من العلم والحكمة، ويبرزوا إلى العالم ناضجين في فسايح العلوم والمعارف ويعترف الناس بمكانتهم السامية في الحياة والمجتمع، ويعدوا أنفسهم للاستفادة منهم في جميع جوانب الحياة الفردية والجماعية.

وقد أشار المؤلف الكريم في آخر المطاف إلى الأسباب التي دعت نحو قلة وجود العظماء والنوابغ في العصر الحاضر فقال بعد ما تحدث عن هذه الناحية المهمة وذكر أمثلة من تاريخ التلاميذ والمعلمين في العصور الذاهبة :

"فكم تخرج نوابغ وعباقرة وعمالقة من التلاميذ على أيدي أمثال هؤلاء الأساتذة الموجهين والمربين المخلصين الذين كانوا يتفانون في تربيتهم وتعليمهم وتهذيبهم وإثارة روح الجد والمثابرة والطموح فيهم ، أما في العصور الأخيرة التي أصيبت فيها الأمة بالانحطاط والتراجع فكراً وسلوكاً وخلقاً........... فقد تأثرت فيها هذه الناحية الهامة ناحية عناية الكبار والأساتذة والمربين بتشجيع الصغار والتلاميذ ، والحرص على تفعيل قدراتهم ودفع هممهم وإعدادهم رجالاً للغد.

أضف إلى ذلك تقصير الطلاب أنفسهم في الكد والجد والاهتمام بطلب العلم ". إن المؤلف الكريم بعد ما أنهى دراسته في دارالعلوم لندوة العلماء سنحت له فرص للزيادة في العلم وسياحة الجامعات العلمية والأسفار المضنية والاطلاع على أحدث وأطرف وأغلى ما مرَّ به من المعالم التي أرشده إليها التأمل والتفكير في الأفكار المبتكرة والآراء البديعة وطرائف منتجات الأذهان والقرايح العبقرية ، كما تحدث عن ذلك.

وقد اعتمد المؤلف في وضع كتابه على أسلوب أدبي شيق مع مراعاة الأصالة في استعمال المفردات اللغوية والجمل المترادفة المعاني للتعبير عن ذات نفسه ، مما له علاقة وطيدة بالابتكار الذي لا يحيد عن جادة العصامية والإبداع في بيان ما يبدو له من الأفكار والآراء التي لا

تخلو عن التأثير في النفس ومن إنارة المعالم التي تضمن الوصول إلى الهدف الغالي المطلوب.

وذلك إن دل فإنما يدل على عبقرية القلم الذي يدبج ما يحتاج إليه القارئ من أسرار تتولى له السعادة والعز، وتمهد له الطريق نحو بناء مستقبل شامل لماع، بمشيئة الله تعالى.

والله ولي التوفيق والتوجيه.

كتبها بقلمه

سعيدالأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

ندوة العلماء لكهنؤ(الهند)

١٤٤٠/٠٥/٠٥هـ

٢٠١٩/٠١/١٢م

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله العظيم، وبعد.

فإليك – يا من يحب أن يكون رجلاً نافعاً، ويتمنى أن يكون نابغة عظيماً، ويبتغي مجداً وسؤدداً – معالم وإضاءات تنير لك الطريق، وتنفعك في نيل بغيتك وتحقيق مقصدك... إذا ما جعلتها نصب عينيك، وانتفعت بها حق الانتفاع.

إن هذه المعالم أو الأمور التي ذكرتها في هذه الرسالة التي بين يديك، لا ادعي فيها الندرة أو الابتكار أو الابتداع:

ما أرانا نقول إلا معاراً

أو معاداً من لفظنا مكروراً

وأنها يُرشد إليها لأول مرة... لا... بل الفضل يرجع فيها – بعد الله – إلى السياحة العلمية الطويلة لبطون الكتب، والسفر الدراسي المضني لدنيا القراءة، فهي – المعالم التي تحدثت عنها في هذه الرسالة – من أنفس وأطرف وأغلى ما مرّ بي – خلال المطالعة، أو ما أرشدني إليها التأمل والتفكر – من أبكار الأفكار، وبدائع الآراء، وطرائف منتجات الأذهان والقرائح العبقرية، فلعل طالب الفضل والكمال، وباغي النبوغ والإبداع

وهاوي المجد والعظمة يجد فيها بغيته، ويظفر فيها بما يعينه في تحقيق أمنيته وبلوغ أربه، فإن وجد فيها طلبته، فذاك المراد والمطلوب والهدف المنشود، والحمد لله على ذلك، وإن لم يجد فيها ما ينشده ويتطلع إليه ويبحث عنه، فذاك قصوري وعجزي وقلة بضاعتي...، فهو جهد المقل، وسعي العاجز...، ولكن – مع ذلك – لن أحرم – إن شاء الله – أجر النصح للمسلم وثواب الساعي في مصلحة أخيه، ونية المؤمن خير من عمله، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

هذا. واعتنيت – قدر الإمكان – بتخريج الآيات الأحاديث وعزو الآراء والأفكار والأقوال إلى أصحابها ومصادرها التي أخذتها منها.

وأخيراً – لا آخراً – أرى من واجبي أن أقدم جزيل شكري وعظيم امتناني وبالغ تقديري إلى مربي الأساتذة، وأستاذ الأجيال، أديب العربية الكبير، والعالم الجليل صاحب المعالي الشيخ الدكتور سعيد الرحمن الأعظمي الندوي، الذي تفضل بالاستجابة لطلبي، فدبّج بقلمه الفذ تقديماً ثميناً للكتاب، جعل صاحبه يقدم عمله إلى القراء، بمزيد من الثقة والاقتناع، وشعور من الفخر والاعتزاز، فجزاه الله خيراً، وأطال بقاءه، ونفعنا بعلمه وفضله وأدبه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

محمد نعمان الدين الندوي

مدير: معهد التعليم والتربية

بالاغنج، لكناؤ (الهند)

١٢/ جمادى الأخرى ١٤٤١هـ

٧/ فبراير ٢٠٢٠م

الدنيا دار سباق إلى أعالي المعالي، فينبغي لذي الهمة أن لا يقصر في شوطه، فإن سبق فهو المقصود، وإن كبا جواده مع اجتهاده لم يلم.

(ابن الجوزي، صيد الخاطر: ٤٥٧)

وإذا كانـــت النفـــوس كبـــارا

تعبـــت في مرادهـــا الأجســـام

توطئة وتمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

كل واحد منا يرى — مما يراه — من أحلام اليقظة، ورؤى النهار، ويخفق قلبه بالأمالي العظام والأماني الكبار، فيتمنى — مثلاً — أن يكون عظيماً، ويبغي أن يكون نابغة، ويريد أن يكون نجماً متلألئاً في سماء الشرف والعظمة، وأن يصل إلى الجوزاء، ويعتلي عرش العزة والفخار، وينصب في أرض المجد الأطناب.

ولكن ذلك كله لا ينال بمجرد الإرادة أو التمني المحض، فهو — تحقيق الأماني — مركب ليس بالذلول، والعظمة لا يحظى بها إلا من يشق طريقه بعصاميته وطموحه، وهمته وصموده:

وما استعصى على قوم منال

إذا الإقدام كان لهم ركابا

وما نيل المطالب بالتمني

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

نعم! فدون ذلك شوك وقتاد ... وجبال من العزيمة والإرادة الصلبة الفولاذية كالحجارة المصمتة، وسلسلة مستمرة من العوائق والعراقيل....، ومن المجاهدات والكفاح والنضال، ولا يوجد — هناك — طريق قصير للنجاح، ثم لو كان الوصول إلى المجد والسؤدد والمكانة العالية بالتمني

والإرادة فقط، لكان كل إنسان عظيماً، وكان كل واحد نابغة أو مبدعاً أو عبقرياً، فلا يمكن بلوغ المعالي بدون التعب والمشقة إلا إذا جاءت الصخرة بالماء الزلال:

لا يـــدرك المجـــد إلا ســـيد فطـــن
لمـــا يشـــق علـــى الســـادات فعـــال
لـــولا المشـــقة ســـاد النـــاس كلـــهم
الجـــود يفقـــر والإقـــدام قتـــال

وقال شاعر آخر:

ولم أجـــد الإنســـان إلا ابـــن ســـعيه
فمـــن كـــان أسـعى كـــان بالمجـد أجـدرا
وبالهمـــة العليـــاء ترقـــى إلى العـــلا
فمـــن كـــان أعلـــى همـــة كـــان أظهـــرا
ولم يتـــأخر مـــن أراد تقـــدما
ولم يتقـــدم مـــن أراد تـــأخرا

صحيح أن البعض يولد سعيداً مغبوطاً موهوباً، ممنوحاً له — من الله — من الصلاحية المدهشة والكفاءة النادرة، ما يستطيع به البروز والظهور واللمعان في سماء المجد والعلو ... بدون جهد يذكر، أو عرق أساله، أو تضحية قام بها...، ولكن ذلك شاذ نادر جداً (والشاذ كالمعدوم، فلا يقاس عليه)، فالنبوغ والإبداع، أو القيام بعمل يترك بصماته في التاريخ، ويخلف آثاره عبر الدهور، يتطلب جهداً مضنياً وعملاً متصلاً، وتضحية بالكثير من الراحة واللذيذ وما يُحَب ويُشتَهى،

فبقدر "همة الإنسان واهتمامه وبذله وتضحيته تكون مكانته، ولا يعطى له المجد جزافاً".

و(الهمة كالمطاط كلما جررته انجر) و(من كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة).

على أن الوصول إلى المجد وإدراك النجاح مطمح كل رجل يعي ويشعر، والتوق إلى إحراز الشرف، والحنين إلى أعلى المعالي مطلب كل ذي عقل وشعور في هذه الحياة، وتحقيق ما يطلق عليه اسم: "أحلام اليقظة" — التي يراها الإنسان في كامل شعوره وتمام إدراكه — وترجمته إلى الواقع.... رغبة تدغدغ كل إنسان له صبابة من العقل والوعي والطموح.

فلما رأينا أن هذا الموضوع موضوع كل إنسان عاقل فضلاً عن مثقف واع ذي طموح...، أحببنا أن نشير — في هذه الصفحات — إلى ملامح ومعالم تنير الطريق للذين يتوقون إلى المعالي، وتساعدهم في إدراك مبتغاهم من الفضل والنجاح والكمال بإذن الله، والجدير بالذكر أن هذه المعالم عامة تفيد كل رجل طموح، على أن معظمها تخص أصحاب العلم والتحقيق والدراسة.

فما قصدنا بهذه الكتابة إلا إرشاد من يحرص — بجد وموضوعية — على أن يكون نافعاً لأمته، ويريد أن يعمل عملاً غير عادي، وغير مسبوق، مشهوداً له بالأولية والإبداع في مجاله، ودلالتَه على ما يعينه في تحقيق مطلوبه، وإمتاعَه بالنافع المفيد الشافي الكافي، المغني المثري المجزئ من روائع الكلام مما اطلعنا عليه من أقوال الأعلام والفضلاء من أهل

العلم ، وتذكيره بالشائع الذائع في هذا الموضوع الرائع ، ومن سار على الدرب وصل ، و(قلب الإنسان رائده).

مستفيدين في شرح مقصدنا وبيان أمرنا بآراء ذوي الفكر والإبداع والفضل من المتقدمين والمتأخرين.

والله هو الموفق ، وهو المستعان ، وهو الهادي إلى سبيل الرشاد ، ومحقق المقاصد والغايات ، والمبلغ إلى المقصود والمرام.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين.

كلمات تدل على التقدم والتبريز

هناك كلمات مترادفة متشابهة معنى ومدلولاً، تستعمل في هذا المجال، ومنها:

الإبداع، النبوغ، الابتكار، العبقرية.

أولاً نبين معاني هذه الكلمات في اللغة.

الإبداع في اللغة:

في لسان العرب:

بَدَعَ الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه: أنشأه وبدأه، والبديع والبدْع: الشيء الذي يكون أوّلاً، وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] أي ما كنت أول من أرسل، قد أرسل قبلي رُسُل كثير.

وأبدع وابتدع وتبدّع: أتى ببدعة، قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧]. والبديع: المحدَثُ العجيب. والبديعُ: المبدع. وأبدعتُ الشيء: اخترعته لا على مثال. والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع الأول قبل كل شيء، ويجوز أن يكون بمعنى مبدع، أو يكون من بدع الخلق أي بدأه، والله تعالى كما قال سبحانه: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧، والأنعام: ١٠١]، أي خالقها ومبدعها، فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثال سابق، قال أبو إسحاق: يعني أنشأها على غير حذاء ولا مثال، إلا أنّ بديعاً من بدع لا

من أبدع، وأبدع: أكثر في الكلام من بدَع، ولو استعمل بدَع لم يكن خطأ، فبديع فعيل بمعنى فاعل مثل قدير بمعنى قادر، وهو صفة من صفات الله تعالى، لأنه بدأ الخلق على ما أراد على غير مثال تقدمه.

النبوغ في اللغة:

قال في لسان العرب: نَبَغَ: نَبَغَ الدقيق من خصاص المُنْخُلِ ينبُغُ: خرج، وتقول: أنبغتُه فَنَبَغَ. ونبغ الوعاء بالدقيق إذا كان دقيقاً فتطاير من خصاصِ ما رقَّ منه، ونَبَغَ الماءُ ونَبَعَ بمعنى واحدٍ، ونَبَغَ الرُّجل ينبَغُ وينبُغُ ويَنْبِغُ نبغاً، لم يكن في إرثِه الشعر ثم قال وأجاد، ومنه سُمِّيَ النوابغ من الشعراء، نحو الجَعْدِيّ والذُّبيانيِّ وغيرهما، والنابغة: الشاعر المعروف، سمي بذلك لظهوره، والهاء للمبالغة، وقد قالوا نابغة، قال الشاعر:

ونابغـةُ الجعـديِّ بالرّمـلِ بيتـه
علیـه صـفيحٌ مـن تـراب مُوَضَـع

الابتكار في اللغة:

قال في لسان العرب: ابتكر: أدرك الخطبة من أولها، وهو من الباكورة، وأول كل شيء، باكورته، وأصله من ابتكار الجارية وهو أخذ عُذرتها.

وفي القاموس المحيط: بكَّر وابتكر وأبكر وباكره: أتاه بُكرة، وكل من بادر إلى شيء: فقد أبكر إليه في أي وقت كان.

العبقري في اللغة:

في لسان العرب:

قال الأصمعي: سألتُ أبا عمرو بن العلاء عن العبقري: فقال:

يقال: هذا عبقري قوم، كقولك هذا سيّد قوم وكبيرهم وشديدهم وقويِّهم ونحو ذلك. قال أبو عبيد: وإنما أصل هذا فيما يقال أنه نُسب إلى عبقر، وهي أرض يسكنها الجن، فصارت مثلاً لكل منسوب إلى شيء رفيع، وقال: أصل العبقري صفة لكل ما بولغ في وصفه، وأصله أن عَبْقَرَ بلد يوشّى فيه البُسُط وغيرها، فنسب كل شيء جيّد إلى عبقر، وقيل: العبقريّ الذي ليس فوقه شيء، والعبقريّ: الشديد، والعبقريّ: السيد من الرجال.

وفي القاموس المحيط: العبقري: الكامل من كل شيء، والسيد، والذي ليس فوقه شيء، والشديد.

الآن بعد ما أحطنا علماً بمعاني هذه الكلمات في اللغة، نأتي إلى دلالاتها في العرف والاصطلاح، وما هي الطرق الموصلة إلى النبوغ أو الإبداع إذا أرادهما إنسان.

ما هو الإبداع حقيقة...، وكيف الطريق إليه؟

هوالإجادة في إتقان عمل ما، وإكمالُه بشيء من الكمال مع الإتيان بشيء جديد، ليس الإبداع تحسين أداء عمل ما بمهارة عالية فحسب، بل المساهمة في التطوير نحو الأفضل، وإضافة شيء جديد بعد أداء العمل بالمهارة اللازمة، وهو أمر يحتاج إلى الابتكار في الممارسات الفعلية، فالمبتدع مبتكر لاشك، ولكن المبتكر ليس بالضرورة أن يكون مبدعاً، فقد أبدع الخالق في بناء الكون وما يحتويه من أجرام سماوية، فهو بديع السماوات والأرض، وقد أتقن في صنع كل شيء، والمؤمن مطالب بإتقان عمله بالقدر الذي يجيده"[١].

---

[١] مجلة: "الفيصل"، الرياض، العدد: ٣٠٥.

ما هو النبوغ، وما هو الطريق إليه؟

يا طالب النبوغ! أنت لا تحتاج في بلوغك الغاية التي بلغها النابغون من قبلك إلى خلق غير خلقك، وجوّ غير جوّك، وسماء وأرض غير سمائك وأرضك، وعقل وأداة غير عقلك وأداتك، ولكنك في حاجة إلى نفس عالية كنفوسهم، وهمة عالية كهممهم، وأمل أوسع من رقعة الأرض، وأرحب من صدر الحليم، ولا يقعدنّ بك عن ذلك ما يهمس به حاسدوك في خلواتهم من وصفك بالوقاحة أو بالسماجة، فنعم الخلق هي أن كانت السبيلَ إلى بلوغ الغاية، فامض على وجهك ودعهم في غيّهم يعمهون.

جناحان عظيمان يطير بهما الطَّموح إلى سماء المجد والشرف: علو الهمة والفهم في العلم، أما علو الهمة فسيأتي الكلام عنه مفصلاً، وأما الفهم في العلم، فإليك الكلمة الآتية:

العلم علمان: **علم محفوظ وعلم مفهوم**، أما العلم المحفوظ فيستوي صاحبه فيه مع الكتاب المرقوم، ولا فرق بين أن تسمع من الحافظ كلمة، أو تقرأ في الكتاب صفحة، فإن أشكل عليك شيء مما تسمع، فانظر إن نطق الكتاب بشرح مشكلاته، نطق الحافظ بتفسير كلماته.

الحافظ يحفظ ما يسمع لأنه قويّ الذاكرة، وقوة الذاكرة قدر مشترك بين الذكيّ والغبي والنابه والخامل، لأن الحفظ ملكة مستقلة بنفسها عن بقية الملكات: وإنك لترى الشيخ الفاني الذي لا يميز بين الطفولة والهرم، والذي يبكي على الحلوى بكاء الطفل عليها، ويرتعد فَرَقاً حينما يسمع ابنته تخيف طفلها بأسماء الجن والشياطين، ويسرد لك من تواريخ شبيبته

وكهولته ما لو دوّنته لكان تاريخاً صحيحاً ضخماً مملوءاً بالغرائب والنوادر، وقيل لأحد العلماء: إن فلاناً حفظ متن البخاري، فقال: لقد زادت نسخة في البلد.

ذلك هو السر العظيم في كثرة المتعلمين وقلة العاملين لأن من فهم معلوماً من المعلومات حق الفهم أشربته روحه، وخالط لحمه ودمه، ووصل من قلبه إلى سويدائه، وكان إحدى غرائزه، فلا يرى له بدا من العمل به رضي أم أبى.

لولا أن العلم الديني قد أصبح اليوم علماً محفوظاً لما وجدت في العلماء من يجمع بين اعتقاد الوحدانية وبين التردد على أبواب الأحياء والأموات في مزاراتهم وفي مقابرهم يسألهم المعونة والمساعدة على قضاء الله وقدره، ولا وجدت بين الذين يحفظون قوله تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨] من يسند النفع والضر إلى كل من سال لعابه وتمزق إهابه، ولا وجدت في الناس كثيراً من ضعفاء العزيمة الذين يحفظون ما ورد على ألسنة الأنبياء والحكماء من مدح الفضائل وذم الرذائل، ثم لا تجد فرقاً بينهم وبين العامّة في ارتكاب المنكرات والنفور من الصالحات.

لو كان العلم المحفوظ علماً – وهو على ما نشاهد ونعلم من سوء الأثر وقلة الجدوى – ما ورد مدح العلم في كتاب ولا سنة، ولا قدسه كاتب، أو ترنَّم بمدحه شاعر، فإذا سمعت ذكر العلم فاعلم أنه العلم المفهوم لا المحفوظ، وآية فهم المعلوم تأثر العالِم به، وظهوره في حركاته وسكناته، وترقرقه في شمائله ترقرق الصهباء في وجه شاربها، ولا تثق

بالحافظ فيما ينقل إليك، فربما مر بالمعلوم محرَّفاً فأخذه على علاته، وأقبح ما عرفنا من أطواره أنه يجمع في حافظته بين النقيض ونقيضه، والغث والسمين، والجيّد والزائف، فكأن ذاكرته حانوت عطار اختلطت فيها الأدوية الشافية بالعقاقير السامة.

وجملة الأمر أن الحافظ البحت لا رأي له في مبحث فيسأل عن مذهب ولا أثر لمعلوماته في نفسه فيقتدي به، ولا ذوق له في الفهم فيعتمد على شرحه وتأويله.

أما العلم المفهوم فهو الواسطة التي إذا جمع المتعلم بينها وبين علو الهمة طار إلى المجد بجناحين، وكان له سبيل مختصر إلى منزلة العظماء ودرجة النابغين، والعلم سلسلة طويلة طرفاها في يدي آدم أبي البشر وإسرافيل صاحب الصور[1]، ومسائله حلقات يصنع كل نابغة من النوابغ في كل عصر من العصور واحدة منها، ولن يبلغ المتعلم درجة النبوغ إلا إذا وضع في العلم الذي مارسه مسألة، أو كشف حقيقة، أو أصلح هفوة أو اخترع طريقة، ولن يسلس له ذلك إلا إذا كان علمه مفهوماً لا محفوظاً، ولا يكون مفهوماً إلا إذا أخلص المتعلم إليه، وتعبد له وأنس به أنس العاشق بمعشوقه، ولم ينظر إليه نظر التاجر لسلعته، والمحترف لحرفته، فالتاجر يجمع من السلع ما يتفق سوقه، لا ما يغلو جوهره، والمحترف لا يهمه من حرفته إلا لقمة الخبز وجرعة الماء، أحسن أم أساء.

---

[1] المراد أن العلوم لا يتم تدوينها ولاتنحصر مسائلها ما دامت العقول تفكر، فالعلم دائب فيها من ابتداء الدنيا إلى انتهائها.

لا يزور العلم قلباً مشغولاً بترقب المناصب، وحساب الرواتب، وسوق الآمال وراء الأموال، كما لا يزور قلباً مقسماً بين تصفيف الطرة، وصقل الغرة، وحسن القوام، وجمال الهندام، وطول الهيام بالكأسين: كأس المدام وكأس الغرام[١].

ما هو الابتكار؟

هو ومضة من ومضات العقل السريع، التي تتضمن الأفكار المجردة والمعنوية التي قد تكون حلاً لمشكلة، أو عنواناً لمقالة، أوخطة لبحث، أو موضوعاً لعمل فني أو أدبي، أو إيجاد نظرية أو وسيلة أو طريقة، قد تكون هذه الومضة كافية للحل، أو تكمل بومضات أخرى غيرها، تتضمن هذه الومضات تحطيماً لقوالب فكرية تسيطر على المرء أو كسراً لقيود فكرية مفروضة على الفرد، يكون الابتكار بذلك خروجاً عن المألوف، أو انفتاحاً على خيرات الآخرين، أو ارتياداً لطريق آخر غير الطريق الرئيسي الذي يسلكه الآخرون، أو مباشرة بأول خطوة نحو ما هو غير معروف، أو وضع خط فكر جديد، أو طرح أبدال مختلفة لمشكلة معروضة، أو إيجاد شيء جديد يؤدي إلى إيجاد أشياء أخرى، أو التوصل إلى إيجاد علاقاتها جديدة بين الأفكار المطروحة، أو طرح فكرة جديدة أصيلة[٢].

ما هي العبقرية؟

سئل الكاتب الليبي: علي مصطفى المصراتي عن العبقرية، فقال:

---

[١] بتعديل من: الأعمال الكاملة للمنفلوطي: ١٠٢.

[٢] مجلة: "الفيصل"، الرياض، العدد: ٣٠٥.

"هي الشيء الذي لا يتكرر .. ليس هناك اثنان من المتنبي، وليس هناك اثنان من الشابي .. والأنماط الأخرى عشرات وأشكال...، لكن العبقرية لا تتكرر.. تجد فقهاء كثيرين، ومدرسين كثيرين، وصحافيين كثيرين، لكن العبقري هو الذي يترك بصمة..."(١).

وقال الطنطاوي عن العبقرية:

"بين العبقرية والجنون جدار رقيق، الناس في مجتمعاتهم كقافلة تمشي، فقد ينفصل عنها رجل ضعيف، لأنه لم يستطع أن يمشي معها، أو رجل قوي لا يريد أن يسير بسيرها، ولا يحب أن يمشي على طريقها، بل يريد أن يشق لنفسه طريقاً جديداً، أو يجتازه مسرعاً، فيسبق من كان معه، وهذا هو العبقري"(٢).

ما هو الفرق بين العبقري والنابغة؟

يقول الطنطاوي: "لقد علمت الطلاب يومئذ التمييز بين العبقري وبين النابغة: بشار عبقري، ومروان بن أبي حفصة نابغة، ومن قبله كان امرؤ القيس عبقرياً، وزهير نابغة، ومن بعده أبو تمام عبقري، والبحتري نابغة، والمتنبي عبقري، وأبو فراس نابغة، وشوقي عبقري، وحافظ إبراهيم نابغة.

العبقري يشق طريقاً جديداً، والنابغة يسلك الطريق المعروف، ولكنه يجيء سابقاً في أول الركب، وقد يكون الطريق الجديد الذي

(١) مجلة: "اليمامة"، الرياض، العدد: ١٦٩٨، ٩/محرم١٤٣٢هـ.

(٢) ذكريات علي الطنطاوي، ٢٨٧/٢.

كشفه العبقري وعراً أو ملتوياً ، لذلك كان من صفات العبقري أنه يسبق حتى ما يتعلق أحد بغباره وقد يتعثر ويتأخر ، يعلو وينخفض ، والنابغة يسير بسرعة واحدة غالباً ، لا يسبق سبقاً بائناً ، ولا يتخلف تخلفاً شائناً.

ولقد طال الخلاف على أبي تمام والبحتري ، أيهما المقدم ، فكان الحكم العادل ما قاله البحتري نفسه ، قال : جيّده خير من جيّدي ، ورديئي خير من رديئه ، أي أن البحتري لا يسمو سمو أبي تمام ، ولا يسقط سقوطه"[1].

[1] أيضاً ، ٤/٧.

معالم في طريق الفضل والنبوغ

قــد هيــؤوك لأمــر إن فطنــت لــه
فاربــأ بنفســك أن ترعــى مــع الهمــل

بعد ما عرفنا معاني كلمات: "النبوغ" و: "الإبداع" وغيرهما في اللغة ودلالاتها عند كبار المختصين، نذكر – فيما يلي – من المعالم والمبادئ أو الأمور المهمة – بهذا الصدد – ما يعين من يريد أن يلعب دوراً مهما في الحياة، أو يبدع إبداعاً، أو يقوم بعمل يعد نبوغاً أو ابتكاراً، ينظر إليه بنظرةالإعجاب والإعظام، فأول ما يجب أن تجعله نصب عينك – يا طالب المجد والعظمة والنبوغ – أن:

قدّر قيمة الوقت:

نعم! هذا أول شيء في سبيل الحصول على المجد والعظمة والنجومية في أي مجال من مجالات الإبداع، فالذين يقدرون الوقت هم الذين ينجحون ويصلون إلى ما يبتغونه من السمو والعلو، فالوقت هو الحياة، ولقد عني القرآن الكريم والحديث الشريف بالوقت أشد عناية وأعظمها، مما يدل على قيمته وأهميته، فقد أقسم الله سبحانه وتعالى في مطالع العديد من سور القرآن الكريم بأجزاء معينة من الوقت، مثل الليل، والنهار، والضحى، والفجر، والعصر.

يقول المفسرون: إن الله تعالى إذا أقسم بشيء من خلقه، فإنه يلفت

أنظارنا إليه، وينبهنا إلى جليل منفعته، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به".

كما أن فرائض الإسلام وآدابه تؤكد قيمة الوقت، وأداء كل واجب في أوانه دون تأخير أو تسويف، ومثال ذلك: فريضة الصلاة وفريضة الصيام والحج ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

وللوقت خصائص ومميزات ينفرد بها عن غيره من الأمور، ومن أهمها سرعة انقضائه، فهو يمر مر السحاب، ويجري جري الرياح، فمهما طال عمر الإنسان فهو قصير ما دام الموت هو نهاية كل حيّ، كما أن ما مضى منه لا يعوض، ولا يمكن استعادته، وقد عبّر عنه الحسن البصري – رحمه الله تعالى – عن ذلك بقوله: "ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا ابن آدم أنا يوم جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة"، كما يقول أيضاً: "يا ابن آدم أنت أيام مجموعة، كلما ذهب يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت لا تعلم، فاعمل، فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل".

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ".

فالـذين يريـدون السـمو، ولا يقـدرون الوقـت، ولا يجتنبـون إزجـاء الأوقات في التفاهات، إنما هـم يعيشـون – في الحقيقـة – في جنـة الحمقـاء، آمالهم كسراب، راجعون بخفي حنين.

وكيف كان المتقدمون يقدرون وقتهم، لإلقاء الضوء على ذلك نذكر – فيما يلي – أقوالاً وأحوالاً تدل على مدى تقديرهم للوقت:

كان داود الطائي يستف الفتيت، ويقـول: بـين سـف الفتيـت وأكـل الخبز قراءة خمسين آية.

وكـان عثمـان البـاقلاني دائـم الـذكر لله تعـالى، فقـال: إنـي وقـت الإفطار أحس بروحي كأنها تخرج لاشتغالي بالأكـل عـن الـذكر، وأوصـى بعض السلف أصحابه فقال: إذا خرجتم من عنـدي فتفرقـوا لعـل أحـدكم يقرأ القرآن في طريقه، ومتى اجتمعتم تحدثتم.

والـذي يعـين علـى اغتنـام الزمـان: الانفـراد والعزلـة مهمـا أمكـن، والاقتصار على السلام أو حاجة مهمة لمن يلقى، وقلة الأكل، فـإن كثرتـه سبب النوم الطويل وضياع الليل[١].

الوقت يشبَّه بالسيف، إن لم يقطعه صاحبه بالعمـل المبرور والسـعي المشكور قطعه الوقت بالهوان والضياع، وإن الوقت يطول ويستعرض أمام اللاهين أو الغافلين، فيرتعون ويمرحون، ويلهون ويلعبون كأنهم مخلدون، وكأنهم إلى ربهم لا يرجعون، ولكن حينما تذهب السكرة وتأتي الحسرة، يتضاءل هذا الزمان الطويل العريض في أنظار مـن اسـتطالوه، فكأنـه طيـف

[١] صيد الخاطر: ٤٨٠.

مرّ، أو خيال عَبَر، وما أدق الرمز إلى هذا وأعمقه في قول الله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول معبراً عن قيمة الوقت وتبعته: "لا تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به[1]".

فماذا أعددنا الجواب عن هذه الأسئلة الأربع؟!

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للإنسان عمر ثان

ابدأ بالأهم:

ومشتّت العزمات ينفق عمره
حيران لا ظفر ولا إنفاق

تتزاحم المسئوليات وتكثر التبعات، فيحار الإنسان ... أيَّا منها يفضل....؟ فماذا يفعل....؟ يفعل ما نصحه الإمام الشافعي قائلاً: "إذا كثرت عليك الحوائج فابدأ بأهمها" وهذه القاعدة من أهم أسس علم

[1] الموسوعة الشرباصية، ٢/٣٣٤.

الإدارة في العصر الحديث، فهي تقدم لنا منهجاً هادياً حين تتزاحم أمامنا العلوم والأشغال.

قال ابن المقفع في الأدب الكبير:

"لا تتركن مباشرة جسيم أمرك، فيعود شأنك صغيراً، ولا تلزمن نفسك مباشرة الصغير، فيصير الكبير ضائعاً.

واعلم أن مالك لا يغني الناس كلهم، فاخصص به أهل الحق، وأن كرامتك لا تطيق العامة، فتوخ بها أهل الفضل، وأن قلبك لا يتسع لكل شيء ففرغه للمهم، واعلم أن ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجاتك، وإن دأبت فيهما، وأن ليس لك إلى إدامة الدأب فيهما سبيل مع حاجة جسدك إلى نصيب منهما، فأحسن قسمتهما بين عملك ودعتك"[1].

خذ كل علم من أهله:

هذا شيء مهم في هذا الباب، ففاقد الشيء لا يعطيه، فينبغي للإنسان الذي يريد الإبداع أو التخصص في فن أن يلزم أصحابه، وهكذا كان سلَفُنَا رحمهم الله تعالى.

فهذا الشافعي كان يأخذ كل علم من أهله، فقد أخذ الحديث من سفيان ومالك، والفقه من مسلم بن خالد ومحمد بن الحسن، واللغة من هذيل، وكانت أفصح العرب، وحفظ من أشعارهم الكثير، بل إنه كان يستفيد من المتخصصين، ولو كانوا من تلاميذه، فها هو يقول للإمام أحمد بن حنبل، وهو تلميذه أنتم أعلم بالحديث مني، فإذا صح عندكم الحديث فقولوا لنا حتى نأخذ به.

---

[1] الأدب الكبير: ٨٩.

وقال الحميدي – تلميذه –: "صحبت الشافعي في مكة إلى مصر، فكنت استفيد منه المسائل، وكان يستفيد مني الحديث"...، وهذا من تواضعه – رحمه الله تعالى – وتمام نبله وكمال عقله، فإن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها.

إبدأ بإتقان كتاب واحد في الفن:

العلم فنون كثيرة، وكل منها له كتب مختصرات ومطولات وشروح وحواش، فابدأ بإتقان كتاب في فن واحد ثم توسع بعد ذلك، فهكذا كان سلفنا يفعلون، فإن الشافعي – مثلاً – قد بدأ بالموطأ فأتقنه، وقال المزني – أحد تلاميذ الشافعي الذين لازموه بمصر –: أنا أنظر في كتا ب "الرسالة" للشافعي منذ خمسين سنة، ما أعلم أني نظرت فيه مرة، إلا وأنا استفيد شيئاً لم أكن عرفته.

ثم استفاد هذه القاعدة أبو العباس بن سريح، ولكنه أتقن كتاب "المزني" فأدمن على القراءة فيه ومطالعته (عشرين سنة في جيبه) حتى قال فيه:

لصديق فؤادي منذ عشرين سنة
وصيقل ذهني والمفرج عن همّي
عزيز على مثلي إعارة مثله
لما فيه من نسيج لطيف ومن نظمه
جموع لأصناف العلوم بأسرها
وآيته أن لا يفارقه كمي

كن طلاع الثنايا:

كن متطلعاً طموحاً إلى المعالي، وصابراً على المتاعب والمشاق في هذا الطريق المفروش بالشوك والقتاد، وقد قالوا: "اركب الآذيّ، تركب الماذي"[١].

قال الشافعي – وقد كان فقيراً أول حياته –: "ثم لمّا خرجت من الكُتّاب كنت أتلقط الخزف والدفوف – الجلود – وكرب النخل، وأكتاف الجمال، أكتب فيها الحديث، وأجيء إلى الدواوين، فاستوهب منها الظهور فأكتب فيها، حتى كانت لأمي حِباب – ج حب وهو الجرّة – فملأتها أكتافاً وخزفاً ومملوءة حديثاً، ومن ظن أن العلم يحصل له بلا تعب فقد ظن المستحيل، قال يحيى بن أبي كثير: "لا يستطاع العلم براحة الجسم"، وحاول أن تعود نفسك التكيف مع الظروف القاسية، ولا تيأس مهما كان الجو مد لهما، فلا يأس مع الحياة، ولا حياة مع اليأس، والمسلم لا يصاب بالقنوط والإحباط، والإسلام يحارب اليأس والتشاؤم، ويرحب بالتفاؤل والأمل، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من تطيّر"، وقال: "يعجبني الفأل الصالح"، أي الكلمة الحسنة.

وتاريخنا الإسلامي زاخر بأمثلة رائعة من الذين قلبوا اليأس أملاً والتطير تفاؤلاً، فهذا – مثلاً – قتيبة بن مسلم يقف ليخطب على المنبر، فيسقط من يده القضيب، وإذا بهمة قتيبة تقلب التطير تفاؤلاً، فيتناول القضيب قائلاً: "ليس الأمر كما سر العدو، ولكنه كما قال الشاعر.

---

[١] الآذي: موج البحر، الماذي: العسل.

فألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قر عيناً بالإياب المسافر

التشاؤم يسوّد الحياة، ويثبط الهمة، ويشل العزيمة، ويصيب صاحبه بالقنوط والإحباط، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر الناس تفاؤلاً وأبعدهم من التطير، فيروى أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة نزل على رجل من الأنصار، فصاح الرجل على غلاميه قائلاً: يا سالم ويا يسار! فتفاءل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وقال: "سلمت لنا الدار في يسر وسهولة".

والحقيقة أن الحياة عبارة عن المشكلات والمخاوف والمثبطات، فما: "قيمة الحياة إذا خلت من الإشفاق والخوف، ومواجهة والمشكلات ومحاولة التخلص منها وإلقاء الأسئلة والتماس الأجوبة لها، وأي غناء في الجماعات الحيّة الميتة التي وجدت لكل مشكلة حلاً، ولكل سؤال جواباً"[1].

إحرص على نيل طلبتك في مقتبل العمر:

أنت لا تستطيع أن تظفر بالحصول على أمانيك وآمالك بعدما تتقدم بك السن، فنيل المطلوب أسهل في زمن القوة والقوة والشباب منه في كبر السن:

إذا المرء أعيته المروءة فتى

مطلبها كهلاً عليه شديد

---

[1] ألوان لطه حسين: ص: ٢٢٨.

ومن كلامهم: التعلم في الصغر كالنقش في الحجر، والعلم في الكبر كالعلامة على المدر، وقال شاعر وهو صالح عبد القدوس:

وإن مـــــــن أدبتــــــــه في الصّـــــــبا
كـــــالعود يُسْـــــقى المـــــاء في غرســـــه

وقال آخر:

يقـــوّم مــــن ميــــل الغـــــلام المـــؤدّبُ
ولا ينفـــع التأديـــب والـــرأس أشـــيب

لا تبرز نفسك قبل النضج:

يقال: من تصدر قبل حينه، ، افتضح في حينه، وقال الشافعي: "إذا تصدّر الحدَث (الشاب) فاته علم كثير، يعني أنه سوف ينشغل عن التفرغ للطلب، ولهذا قرر عمر رضي الله عنه أن من تصدر سيكون عُرضة للانشغال، فقال: "تفقهوا قبل أن تسوّدوا"، وكان – رحمه الله تعالى – يقول: السؤدد مع السواد"[١]، وليس المعنى أن من تصدر لا ينبغي له أن يطلب العلم، كلا...، ولكن هذا حكاية للواقع، ولهذا عقب الإمام البخاري على أثر عمر بقوله: "وبعد أن تُسَوَّدُوا".

وقال بعض المفكرين: لا تستعجل الرئاسة، فإنك إن كنت أهلاً لها، قدّمك زمانك، وإن كنت غير أهل لها، كان من الخير لك أن لا ينكشف نقصانك.

ومن هذا القبيل قولهم: "فلان يتزبب قبل أن يتحصرم".

---

[١] البيان والتبيين: ١٤٨.

"فالتصدر قبل التأهل آفة في العلم والعمل، وقد قيل: (من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه)، وسبب ذلك أنه لم يسبق أن تلقى العلم عن العلماء، فلم يتأدب بآدابهم، وإنما تلقى العلم عن الكتب والمطالعة فقط، وفعله ذلك قرينة على أنه لم يتخلص من رعونة نفسه كإعجابه بمبلغ علمه وعدم فقهه لبواطن الأحوال وجهله بعواقب الأمور.

ومن كان كذلك فقد تشبع بما لم يعط، ولبس ثوبي زور، وأجلس نفسه مجالس العلماء، يشار إليه بالبنان، ويصرف وجوه الناس إليه، والأولى به أن يعرف قدر نفسه ليقف عند حده، ومعلوم أن طلب العلم يحتاج إلى صبر وبعد عن العجلة والتهور"[1].

كُن نفسَك:

يقال: "كن نفسك ولا تنشد إلا مثلك" يقول الدكتور جايمس فمليلكي: "إن مشكلة الرغبة في أن تكون نفسك" هي قديمة قدم التاريخ، وهي عامة كالحياة البشرية، كما أنَّ مشكلة عدم الرغبة هي في أن تكون نفسك هي مصدر الكثير من التوتر والعُقد النفسية".

وقال آخر: "أنت في الخليقة شيء آخر لا يشبهك أحد، ولا تشبه أحداً، لأن الخالق – جلَّ في علاه – مايز بين المخلوقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل: ٤].

كتَب إنجيلو باتري ثلاثة عشر كتاباً، وآلاف المقالات حول

[1] مجلة الصحوة الإسلامية، حيدرآباد، العدد (٧٨)، ص: ١٣، من مقال الدكتور خالد مرغوب أمين.

موضوع: "تدريب الطفل"، وهو يقول: "ليس من أحد تعيسٍ كالذي يصبو إلى أن يكون غير نفسه، وغير جسده وتفكيره".

قال سبحانه وتعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧].

لكلٍ صفاتٌ ومواهبُ وقُدرات، فلا يذوب أحد في أحد:

أوردها سعد وسعدٌ مشتمل

ما هكذا تورد ياسعد الإبلُ

إنك خلقت بمواهب محددة، لتؤدي عملاً محدداً، وكما قالوا: "اقرأ نفسك" واعرف ماذا تقدم"[1].

فالناس مواهب وقدرات وطاقات وصنعات، ومن عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وظّف أصحابه حسب قدراتهم واستعداداتهم، فعليّ للقضاء، ومعاذ للعلم، وأبيّ للقرآن، وزيد للفرائض، وخالد للجهاد، وحسان للشعر، وقيس بن ثابت للخطابة.

فوضع الندى في موضع السيف بالعُلا

مُضِر كوضع السيف في موضع الندى

الذوبان في الغير انتحار، وتقمص صفات الآخرين قتل مجهز.

ومن آيات الله عز وجل: اختلاف صفات الناس ومواهبهم، واختلاف ألسنتهم وألوانهم، فأبو بكر برحمته ورفقه نفع الأمة والملة، وعمر بشدته وصلابته نصر الإسلام وأهله، فارض بما عندك من عطاء

[1] لا تحزن: ١١٨.

وموهبة، فاستثمرها ونمّها وقدّمها وانفع بها ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

إن التقليد الأعمى والانصهار المسرف في شخصيات الآخرين وأد للموهبة، وقتل للإرادة، وإلغاء متعمد للتميز والتفرد المقصود من الخليقة[١].

اصنع الحياة بعلو الهمة:

إذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير
كطعم الموت في أمر عظيم

ما هي الهمة؟ هي – كما قال بعض الأدباء – توقد القلب، واستسهال الصعب، وركوب الخطب، فالعذاب بالهمة عذب.

ومن عنده همة عارمة، وعزيمة صارمة.. اقتحم بها أسوار المعالي، وصار تاريخه قصة الليالي.

ولابد للهمم الملتهبة أن تنال مطلوبها، ولابد للعزائم المتوثبة أن تدرك مرغوبها، سنة لا تتبدل، وقضية لا تتحول[٢].

الحياة صناعة، وخير صناعها العابدون العاملون المجاهدون المكافحون المناضلون.

تعني صناعة الحياة – في مفهومها العميق – إدارة دفتها بمهارة

---

[١] بتعديل من: لا تحزن: ٩٠.
[٢] الأسطورة: ٣٣٣.

صاحب صنعة محترف يدرك أسرار صنعته ويحذق أدق تفاصيلها، وهذه مهمة المسلمين العابدين العاملين على مدى تاريخ الأمة الإسلامية، إذ كانوا – دائماً – صناع الحضارات بل سنوا سننا حسنة، كانت – ولا تزال – متبعة ومأخوذاً بها.

وحتى تعود الأمة إلى مقدمة الأمم، لابد أن تنفض عنها غبار الكسل والتهاون، وهذا لا يتم حتى يعرف القادرون المقصرون، والعاملون الجاهلون دورهم الحقيقي في هذه الحياة، يقول الشاعر:

ولم أر في عيوب الناس عيباً

كنقص القادرين على التمام

ودوّن لنا التاريخ – بمداد من ذهب – مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أعوذ بالله من جلد الفاجر وعجز الثقة".

فكم من أصحاب علم تهاونوا، ولم يعملوا بعلمهم، وكم من ثقات أصابهم الوهن والعجز، وصار التخاذل ديدنهم، وعندما يتخاذل المؤمنون الثقات عن دورهم في صناعة الحياة تكون الساحة خالية للفاسق الفاجر الذي يصنع بجلده سنناً، ويخط مسارات يحتذي بها كثير من الضعفاء والكسالى:

ومن هنا.. أتساءل: من منا فكر في أن يكون ذا هدف في هذه الحياة، وحرص دائماً على أن يكون من أصحاب الهمم العالية والنفوس الأبية الشامخة؟ وتمثل بقول الشاعر:

لكل امرئ غرض يسعى ليدركه

والحر يجعل إحراز العلا غرضه

من منا طاول بنفسه عنان السماء، وتسلق بهمته الجبال الشاهقات، واستهون المستحيل، وجازف وبذل وضحى:

ومـــــن لا يحـــــب صـــــعود الجبـــــال

يعـــش أبـــد الـــدهر بـــين الحفـــر؟

ومن منا فطن إلى أن الحياة لا تصفو دون كدر، ولن تنال، وتصفو مشاربها دون كد وتعب، وعلى قدر الكد يكون الكسب:

بقـــــدر الكـــــد تكتســـــب المعـــــالي

ومـــن طلـــب العـــلا ســـهر الليـــالي

تـــــروم المجـــــد ثـــــم تنـــــام لـــــيلا

يغـــوص البحـــر مـــن طلـــب اللآلـــي

و:

علـــى قـــدر أهـــل العـــزم تـــأتي العـــزائم

وتـــأتي علـــى قـــدر الكـــرام المكـــارم

أو ترضى – يا طالب المجد والعظمة – أن تكون من أصحاب الهمم الدنيئة الخسيسة التي ترضى بالهوان، وتأبى إلا أن تكون في الحفر، وبين الأنفاق وعلى هامش الحياة؟!

لا والله! إني لا أرضاها لك، بل وأرفض كل صاحب همة خسيسة لا تدفعه همته إلى استغلال وقته بما ينفع، بل ترديه في الشهوات والملذات.

إن حال خسيس الهمة واضح في هذه الحكاية، إذ يروى أن الكلب قال للأسد: يا سيد السباع غيّر اسمي فإنه قبيح، فقال له: أنت خائن لا

يصلح لك غير هذا الاسم، قال فجربني، فأعطاه شقة لحم، وقال احفظ لي هذه إلى غد، وأنا أغير اسمك، فجاع الكلب وجعل ينظر إلى اللحم ويصبر، فلما غلبته نفسه، قال: وأي شيء باسمي، وما كلب إلا اسم حسن، وأكل اللحم.

يعلق ابن القيم قائلاً: وهكذا خسيس الهمة، القنوع بأقل المنازل، المختار عاجل الهوى على آجل الفضائل..، فالله الله في طريق الهوى إذا ثار وانظر كيف تطفئه.

إن دورنا في هذه الحياة هو أن نكون قادة مؤثرين مغيّرين متفاعلين مع المجتمع وهمومه، قادة همُّهم أمتهم ورفعتها ومجدها، قادة يهتمون بتأهيل مجتمعاتهم وإحداث نقلات كبيرة تنفض عنها غبار الذل والهوان.

وهذا لن يتأتى إلا إذا عزمنا على بناء ذواتنا، وتأهيل أنفسنا، وتطوير مهاراتنا، التي تجوّدها الخبرة المكتسبة المتراكمة.

ومتى ما استطاع الإنسان أن يروض نفسه، ويكبح جماح هواها، ارتقى بنفسه إلى أعالي المجد.

جاء في الحديث قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني".

ويقول عمر بن عبد العزيز يرحمه الله تعالى: "إن لي نفساً تواقة كلما وصلت إلى شيء تاقت إلى ما هو أعلى منه".

وفي هذا إشارة واضحة إلى أن النفس الطموح ذات الهمة العالية هي الفائزة والرابحة والمبدعة دائماً، وقد اتضح من خلال الدراسات الإدارية والنفسية الحديثة أن أول عامل من عوامل النجاح والإبداع هو التفوق على النفس؟ والنظر إلى الأمور بإيجابية نابعة من ذات الإنسان.

وقد قيل: همة الإنسان على حسب ما أهمه، وعلوها على حسب مطلبها في الحياة، و: القمم تمنحها الهمم.

فالبدار البدار – يا هواة النجاح – وحاولوا أن تنفضوا عن أنفسكم التقاعس، والتهاون، وكونوا من أصحاب الهمم الشامخة الطامحة إلى المعالي، التي دأبها الإصلاح والتغيير والبناء، تلك النفوس التي تدرك أن رفعتها وازدهارها من رفعة مجتمعها وازدهاره.

والناجح من نجح في ترك أثر في حياته، وسن طريقاً وخلّد مجداً عظيماً بعد مماته:

وكن رجلاً إذا أتوا بعده
قالوا مرّ وهذا الأثر

واجعلوا نصب أعينكم قول مصطفى صادق الرافعي: "إن لم تزد شيئاً على الحياة، كنت أنت زائداً على الحياة"، وقول المتنبي أيضاً:

يقولون لي: ما أنت؟ في كل بلدة
وما تبتغي؟ ما أبتغي جل أن يسمى

فعلو الهمة الحجر الأول والأساسي في الوصول إلى العظمة والنبوغ والمجد الخالد العظيم. وهو – علو الهمة – من علامات كمال العقل، والراضي بالدون دنيء.

فـإذا أعطـي العبـد همـة كـبرى، ارتحلـت بـه في دروب الفضـائل، وصعدت به في درجات المعالي.

يقول الشيخ عائض القرني:

"من سجايا الإسلام التحلي بكِبَر الهمـة، وجلالـة المقصـود، وسمـو الهدف، وعظمة الغاية، فالهمة هي مركز السالب والموجب في شخصك، الرقيب على جوارحـك، وهـي الوقـود الحسـيّ والطاقة الملتهبـة، الـتي تمـد صاحبها بالوثوب إلى المعالي والمسابقة إلى المحامد، وكِبَر الهمة يجلب لك — بـإذن الله — خـيراً غـير مجـذوذ، لترقـى إلى درجـات الكمـال، فيُجـري في عروقك دم الشهامة، والركض في ميدان العلم والعمـل، فـلا يـراك النـاس واقفـاً إلا علـى أبـواب الفضـائل، ولا باسـطاً يـديك إلا لمهمـات الأمـور، تنافس الرواد في الفضائل، وتـزاحم السادة في المزايا، لا ترضـى بالـدون، ولا تقـف في الأخير، ولا تقبـل بالأقـل، وبـالتحلي بالهمـة يسـلب منـك سفساف الآمال والأعمال، ويجتث منك شجرة الذل والهوان، والتملـق، والمداهنة، فكبير الهمة ثابت الجأش ، لا ترهبه المواقف، وفاقدها جبـان رعديد، تغلق فمه الفهاهة.

الفرق بين كِبَر الهمة والكِبْر:

ولا تغلط فتخلط بين كِبَر الهمة والكِبْر، فإن بينهما مـن الفـرق كمـا بـين السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع، فكبر الهمة تاج علي مفرق القلـب الحرّ المثـالي، يسـعى بـه دائمـاً وأبـداً إلى الطهـر والقداسـة والزيـادة والفضـل، فكبير الهمة يتلمظ على ما فاته من محاسن، ويتحسر على مـا فقـده مـن مـآثر، فهو في حنين مستمر، ونهم دؤوب للوصول إلى الغاية والنهاية.

كِبَر الهمة حلية ورثة الأنبياء، والكبْر داء المرضى بعلة الجبابرة البؤساء.

فكبَر الهمة تصعد بصاحبها أبداً إلى الرقي، والكبْر يهبط به دائماً إلى الحضيض، فيا طالب العلم، ارسم لنفسك كبَر الهمة، ولا تنفلت منها، وقد أومأ الشرع إليها في فقهيات تلابس حياتك، لتكون دائماً على يقظة من اغتنامها، ومنها: إباحة التيمم للمكلف عند فقد الماء، وعدم إلزامه بقبول هبة ثمن الماء للوضوء، لما في ذلك من المنّة التي تنال من الهمة منالاً..، وعلى هذا فقس.

فالله الله في الاهتمام بالهمة، وسل سيفها في غمرات الحياة:

هو الجدّ حتى تفضل العين أختها

وحتى يكون اليوم لليوم سيدا"[1]

وأعجبني بهذا الصدد ما قاله مصطفى لطفي المنفلوطي:

"كثيراً ما يخطئ الناس في التفريق بين التواضع وصغر النفس؛ وبين الكبْر وعلو الهمة، فيحسبون المتذلل المتملق الدنيء متواضعاً ويسمون الرجل إذا ترفع بنفسه عن الدنايا، وعرف حقيقة منزلته من المجتمع الإنساني متكبّراً، وما التواضع إلا الأدب، ولا الكبْر إلا سوء الأدب، فالرجل الذي يلقاك متبسماً متهللاً، ويقبل عليك بوجهه، ويصغى إليك إذا حدثته ويزورك مهنئاً ومعزياً، ليس صغير النفس كما يظنون، بل هو عظيمها، لأنه وجد التواضع أليق بعظمة نفسه فتواضع، والأدب أرفع لشأنه فتأدب.

---

[1] لا تحزن: ٢٨٠.

فتـى كـان عـذبَ الـروح لا مـن غضاضـة
ولكـــنَّ كِبْـــراً أن يقـــال بـــه كِبْـــرُ

فـإذا بلـغ الـذل بالرجـل ذي الفضـل أن يـنكس رأسـه للكـبراء ويتهافـت علـى أيـديهم وأقـدامهم لثمـاً وتقبـيلاً ، ويتبـذل بمخالطـة السـوقة والغوغـاء بـلا ضـرورة ولا سـبب ، ويكثـر مـن شـتم نفسـه وتحقيرها ورميها بالجهل والغباوة ، ويبصـبص برأسـه — وهـو سـائر في طريقـه — بصبصـة الكلـب بذنبـه ، ويجلـس في مـدارج الطـرق ، وعلـى أفواه الدروب جلسة البائس المسكين ، فاعلم أنـه صـغير الـنفس سـاقط الهمة لا متواضع ولا متأدب.

إن علو الهمة إذا لم يخالطه كِبْر يزري بـه ويـدعو صـاحبه إلى التنطـع وسـوء العشـرة كـان أحسـن ذريعـة يتـذرع بهـا الإنسـان إلى النبـوغ في هـذه الحياة ، وليس في الناس من هو أحوج إلى علو الهمة من طالب العلم ، لأن حاجـة الأمـة إلى نبوغـه أكثـر مـن حاجتهـا إلى نبـوغ سـواه مـن الصـانعين والمحترفـين ، وهـل الصـانعون والمحترفـون إلا حسـنة مـن حسـناته وأثـر مـن آثاره؟ بل هو البحر الزاخر الذي تستقي منه الجداول والغدران.

فيا طالب العلم كن عالي الهمـة ، ولا يكـن نظـرك في تـاريخ عظمـاء الرجال نظراً يبعث في قلبك الرهبـة والهيبـة فتتضـاءل وتتصـاغر كمـا يفعـل الجبـان المسـتطار حينمـا يسـمع قصـة مـن قصـص الحـروب ، أو خرافـة مـن خرافـات الجـان ، وحـذار أن يملـك اليـأس عليـك قوتـك وشـجاعتك ، فتستسلم استسلام العاجز الضعيف وتقول : من لـي بسُلّم أصعد فيهـا إلى السماء حتى أصل إلى قبة الفلك فأجالس فيها عظماء الرجال؟.

وأيضاً قال المنفلوطي – وهو يحث الإنسان على تقدير قيمته وتجنيب نفسه الإصابة بمركب النقص –:

"من العجز أن يزدَري المرء نفسه فلا يقيم لها وزناً، وأن ينظر إلى من هو فوقه من الناس نظر الحيوان الأعجم إلى الحيوان الناطق، وعندي أن من يخطئ في تقدير قيمته مستعلياً، خير ممن يخطئ في تقديرها متدلّياً، فإن الرجل إذا صغرت نفسه في عين نفسه يأبى لها من أعماله وأطواره إلا ما يشاكل منزلتها عنده، فتراه صغيراً في علمه، صغيراً في أدبه، صغيراً في مروءته وهمته، صغيراً في ميوله وأهوائه، صغيراً في جميع شؤونه وأعماله، فإن عظمت نفسه عظم بجانبها كل ما كان صغيراً في جانب النفس الصغيرة.

ولقد سأل أحد الأئمة العظماء ولده، وكان نجيباً: أي غاية تطلب في حياتك يا بني، وأيّ رجل من عظماء الرجال تحب أن تكون؟ فأجابه: أحب أن أكون مثلك، فقال: ويحك يا بني! لقد صغَّرت نفسك، وسقّطت همتك، فلتبك على عقلك البواكي، لقد قدّرت لنفسي يا بنيّ في مبدإ نشأتي أن أكون كعليّ بن أبي طالب، ما زلتُ أجدّ وأكدح حتى بلغت المنزلة التي تراها، وبيني وبين عليٍّ ما تعلم من الشأو البعيد والمدى الشاسع، فهل يسرك، وقد طلبت منزلتي أن يكون ما بينك وبيني من المدى مثل ما بيني وبين عليّ؟[1].

يقول بعض أجلة العلماء السلف رحمهم الله تعالى: "ما ابتلي الإنسان قط بأعظم من علو همته فإن من علت همته يختار المعالي".

---

[1] الأعمال الكاملة لمصطفى المنفلوطي: ١٠١.

ولم أجـد الإنسـان إلا ابـن سـعيه

فمـن كـان أسـعى كـان بالمجـد أجـدرا

وبالهمـة العليـا ترقـي إلى العلـى

فمـن كـان أعلـى همـة كـان أظهـرا

ولم يتـأخر مـن أراد تقـدما

ولم يتقـدم مـن أراد تـأخرا

وقالوا: الهمة أعلى من الخبرة، فلا شك أن هذه الهمة العالية والطموح، والتوق إلى إحراز المجد...، إنما هو في الحقيقة مفتاح النجاح، وسر التقدم والخلود، والطريق إلى إحداث انقلاب، أو إنجاز عمل يترك بصماته على جبين التاريخ:

وأتعـب خلـق الله مـن زاد همـه

وقصَّـر عمـا تشـتهي وُجـدُه[1]

ويقول شاعر آخر وهو يحث على أقصى ما يمكن تحصيله من العز والشرف:

إذا أعطشـتك أكـف اللئـام

كفتـك القناعـة شـبعاً وريّـا

فكـن رجـلاً رجلـه في الثـرى

وهامـةُ همتِـه في الثريـا

والتاريخ لا يصنعُه إلا الذين يأتون بأعمال عظام، ومآثر جليلة، ويخلدون مجداً عظيماً يسجَّلُ بأحرف من نور في صفحات التاريخ.

---

[1] السعة.

و : "لا يدعى للجلّى إلا أخوها".

والعظمة – كذلك – لا يبنيها إلا أصحاب الهمم العالية وذوو العزائم العصامية، والنفوس الأبية العالية، الذين لا يعرفون للراحة والكسل معنى، وللتعب والكدح حداً في مرحلة من مراحل حياتهم.

ومن طلب العلى بغير كد
أضاع العمر في طلب المعالي

ويجعلون البيت التالي نصب أعينهم :

إذا نام غِرٌّ في دجى الليل فاسهر
وقم للمعالي والعوالي وشَمّر

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : "إذا تمنى أحدكم.. فليكثر فإنما يسأل ربه".

وهناك مقولة رائعة تقول : "العظيم يبني النجاح من النجاح، والأكثر عظمة يبني النجاح من حطام".

وإنها لحقيقة أن كل إنسان – له عقل يفكر، ووعي يشعر – يروم المجد والعظمة والعيش الرغيد في الحياة، ويحب العلو والسمو إلى مراتب عالية ودرجات رفيعة :

لكل امرئ غرض يسعى ليدركه
والحر يجعل إحراز العلا غرضه

وإنها لحقيقة أخرى – أيضاً – أن نيل العز والشرف، وتحقيق الأماني الحلوة ليس أمراً سهل المنال، بل دونه شوك وقتاد، وصاب وعلقم من

التضحيات المستمرة بالراحة واللذة والمتعة، وإذابة حبات القلب، وسلسلة متصلة — إلى آخر نفس من أنفاس الحياة — من الكد والجهد وبذل العرق، (ومن لزم الرقاد، عدم المراد):

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وقال الكاتب الفرنسي: "أندريه جيد":

"الأديب الحقيقي لا يعطي القبر إلا العظام".

سئل الفاتح الشهير والحاكم الفرنسي الشهير نبولين بونا بارت: (NIPOLEN BONAPARTE) عن سر نجاحه، فقال: طموح جندي، فإن كبلتم يده ورجله بالقيود وألقيتموه من أعلى جبل بأوربا، ثم سألتموه: هل تستطيع أن تعبر هذا الجبل...؟ أجاب: نعم! يا سيدي، ولم لا يجيب بهذا الجواب، فنبولين كان قال مرة: "لفظة: "اللا ممكن" لا توجد إلا في قاموس السفهاء......".

والواقع أن أصحاب الهمة العليا والطموح العصامي يلتذون بتحمل المشاق والتعب في الوصول إلى المعالي والعوالي:

ومن تكن العلياء همة نفسه

فكل الذي يلقاه فيها محبّب

إنهم لا يقنعون بدرجة، فكلما تحقق لهم هدف تاقوا إلى أكبر منه، وجدّوا في نيله، وقد قرّر الأخلاقيّون: أن المثل الأعلى للطموح لا ينتهي.

يقول المتنبي بعد أن ينعى على قليلي الهمة والطموح الراضين بالدون، القانعين بالعيش الحقير، يقول بعد أن ينعى عليهم صنيعهم هذا:

ولكـــن قلبـــاً – بـــين جـــنبيّ – مالـــه
مـــدى ينتهـــي بـــي في مـــراد أحـــدّه

وهذه – أيضاً – هي الروح الإسلامية القرآنية التي تحث على الجهد المتواصل والعمل الدائم، فقد قال بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ [الشرح: ٧] أن معناه: إذا انتهيت وفرغت من واجب، فلا تركن إلى الكسل أو العطل أو النوم، بل إشرع في واجب آخر، وانصب له واتعب فيه، وأقبل عليه!

فكلما عظم طموح الإنسان، وعلت همته وكبرت عزيمته عظم قدره وسمت مكانته وعلا شأنه، وقد صدق الأولون حينما قالوا: "قيمة كل امرئٍ بقدر همته"، وأيضاً قيل: "همة الإنسان على حسب ما أهمه وعلوها على حسب مطلبها في الحياة".

أما ذوو الهمم الدنيئة الخسيسة فيرضون بالهون والهوان، والعيش على هامش الحياة، أو في ذيل القافلة أو كعيش الهمج الرعاع الذين لا يعاونون ولا ينفعون، قال عنهم أبو تمام:

بنو الهمم الهوامد والنفوس الخوامد والمروّات النيام

ويقول شاعر آخر:

وفي النـاس مـن يرضـى بميسـور عيشـه
ومركوبـه رجـلاه والثـوب جلـده

فيكون حالهم كما قال الشاعر:

ومـن لا يحـب صـعود الجبـال
يعـش أبـد الـدهر بـين الحُفـر

انظر كيف يحث ابن الجوزي (٥١٠ -٥٩٧هـ) على نشدان الكمال وكبر الهمة:

"من أعمل فكره الصافي دلّه على طلب أشرف المقامات ونهاه عن الرضى بالنقص في كل حال:

ولم أر في عيوب الناس عيباً
كنقص القادرين على الإتمام

فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يُتصور للآدمي صعود السماوات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض.

ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض.

غير أنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن، وفي الجملة لا يترك فضيلة يمكن تحصيلها إلا حصلها، فإن القنوع حالة الأراذل.

فكن رجلاً رجله في الثرى
وهامة همته في الثريا

ولو أمكنك عبورُ كل أحد من العلماء والزهاد فافعل، فإنهم كانوا رجالاً وأنت رجل.

وما قعد من قعد إلا لدناءة الهمة وخساستها، واعلم أنك في ميدان سباق...، والأوقات تنتهب، ولا تخلد إلى كسل، فما فات ما فات إلا بالكسل، ولا نال من نال إلا بالجد والعزم، وإن الهمة لتغلي في القلوب غليان ما في القدور، وقد قال بعض من سلف:

ليس لي مالٌ سوى كرّي
فبه أحيا من العدم

قَنعـــــت نفســـــي بمـــا رزقـــــت

وتمطـــــت في العــــلا هممـــــي[١]

يقول الرافعي ناعياً على ضعف الهمة: "وأما ضعف الهمة فمنزلة الحيوان الذي لا هم له إلا أن يوجد كيفما وجد وحيثما جاء موضعه من الوجود، إذ هو يولد ويكدح ويكد ليكون لحماً وعظماً وصوفاً ووبراً وشعراً أثاثاً ومتاعاً، وكأنه ضرب آخر من النبات إلا أنه نوع آخر من المنفعة"[٢].

ويقول ابن الجوزي متحدثاً عن تكاليف المجد: "ما يتناهى في طلب العلم إلا عاشق العلم، والعاشق ينبغي أن يصبر على المكاره، والفضائل تنادي:

لا تحســـب المجـــد تمـــراً أنـــت آكلـــه

لـــن تبلـــغ المجـــد حتـــى تلعـــق الصـــبرا

فالصبر الصبر أيها الطالب للفضائل، وقال الشافعي:

يـــا نفـــس مـــا هـــو إلا صـــبر أيـــام

كـــأن مـــدتها أضـــغاث أحـــلام

فتلمح يا أخي عواقب الأحوال، واقمع الكسل المثبط عن الفضائل، فإن كثيراً من العلماء الذين ماتوا مفرطين يتقلبون في حسرات وأسف، واعلم أن الفضائل لا تنال بالهوينا، وأن يسيرَ التفريط يشين الوجه"[٣].

---

[١] بتعديل من صيد الخاطر: ١٥٩ وما بعدها.

[٢] وحي القلم، ٣٧٩/٣.

[٣] صيد الخاطر، ٤٤٢، مما ينبغي تنويهه أننا أخذنا أجزاء متفرقة من العنوان: "تكاليف المجد" من هذا الكتاب.

ويقول أيضاً: "من رزق همة عالية يعذب بمقدار علوها كما قال الشاعر:

وإذا كانـــــت النفـــــوس كبـــــاراً
تعبـــــت في مرادهــــا الأجســـــام

وقال الآخر:

ولكـــــل جســـم في النحـــول بليـــة
وبـــلاء جســـمي مـــن تفـــاوت همـــتي

والدنيا دار سباق إلى أعالي المعالي، فينبغي لذي الهمة أن لا يقصر في شوقه، فإن سبق فهو المقصود، وإن كبا جواده مع اجتهاد لم يلم"[١].

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تنالون ما تحبون، إلا بالصبر على ما تكرهون، ولا تبلغون ما تهوون إلا بترك ما تشتهون"، وقيل في منثور الحكم: "أتعب قدمك، فكم من تعب قدّمك، وقال بعض البلغاء: "إذا اشتد الكَلَف هانت الكُلَف"، وقيل: لن يدرك العلم من لا يطيل درسه ويكد نفسه، وقيل: علة الراحة قلة الاستراحة.

ويحدثنا ابن الجوزي عن علو همته قائلاً: "...فيا ليتني قدرت على عمر نوح، فإن العلم كثير، وكلما حصل منه حاصل رفع ونفع"[٢].

قال الإمام الراغب الأصفهاني – وهو ينعى على الكسل – "من تعطل وتبطل انسلخ من الإنسانية بل من الحيوانية، وصار من جنس الموتى، ومن تعوّد الكسل ومال إلى الراحة، فقد الراحة، وقد قيل: إن

[١] صيد الخاطر: ٤٥٦.
[٢] أيضاً: ١٠٩.

أردت أن لا تتعب فاتعب، لئلا تتعب، وقيل أيضاً: إياك والكسل والضجر، فإنك إن كسلت لم تؤد حقاً، وإن ضجرت لم تصبر على حق، ولأن الفراغ يبطل الهيئات الإنسانية، فكل هيئة، بل كل عضو ترك استعماله يبطل كالعين إذا أغمضت، واليد إذا عطلت، ولذلك وضعت الرياضات في كل شيء".

ومما ينسب للإمام الشافعي رحمه الله تعالى في الجد في تحصيل العلم قوله:

سهري لتنقيح العلوم ألذّ لي
من وصل غانية .. وطيب عِناق
وصرير أقلامي على صفحاتها
أحلى من الدّوكاء والعشاق
وألذّ من نقر الفتاة لدفها
نقري لألقي الرمل عن أوراقي
وتمايلي طرباً لحل عويصة
في الدرس أشهى من مدامة ساقي
أأبيت سهران الدّجى .. وتبيته
نوماً .. وتبغي بعد ذاك لحاقي؟"

فالعظائم كفؤها العظماء، والعظيم يبني النجاح من النجاح، والأكثر عظمة يبني النجاح من حطام.

إن للجد كيمياء إذا ما
مس كلباً أحاله إنسانا

يفعـــل الله مـــا يشـــاء كمـــا شـــا
ء متـــى شـــاء كائنـــاً مـــا كـــان

ينبه الدكتور عائض القرني إلى نكتة هامة، تتعلق بالنجاح، يقول: "كنت أكتب عن النجاح، ومن طرقه عدم التكلف، فعثرتُ على بيت للمتنبي أغلى من حمر النعم، وهو قوله:

أَبلـــغ مـــا يُطلَـــبُ النجـــاح بـــه الـــ
ـــطبع وعنـــد التعمـــق الزلـــلُ[1]

يقول المتنبي حاثا على الجد:

لا يـــــدرك المجـــــد إلا فطـــــن
لمـــا يشـــق علـــى الســـادات فعّـــال
لـــولا المشـــقة ســـاد النـــاس كلـــهم
الجـــود يفقـــر والإقـــدام قتـــال

فالنجاح قطرات من الآهات والزفرات والجهد، وحبّات العرق تصنع المعجزات، والنجاح والفلاح مرهون بمدى الجد والجهاد والصبر والكفاح، والشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية.

وبالعكس.... فإن الفشل زخات من الإحباط والنوم و التسويف.

ويقال: نكح العجز التواني فخرج منها الندامة، ونكح الشؤم الكسل فخرج منها الحرمان.

وقالوا: الفشل يتيم لا أب له ولا أم، أما النجاح فله ألف ألف أب.

---

[1] الأسطورة للقرني: ٤٢٨.

لا تأخذ العلم من كل من هب ودب:

ثم انظر من تأخذ منه العلم، وتتلقى منه المعرفة، فليس كل من ادعى العلم صالحاً لأن يتتلمذ عليه، فلا يؤخذ العلم إلا من الراسخين فيه الصالحين المتمكنين منه، يقول الإمام مالك:

"إن هذا العلم دِين ، فانظروا عمن تأخذونه...، لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين – وأشار بيده إلى أعمدة المسجد – فما أخذت عنهم شيئاً، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أميناً، إلا أنهم لم يكونوا أهلاً لهذا الشأن"[1].

وقد قيل: "إنه ليس هناك أحد أجود أخذاً للعلم من مالك، وما كان أحد أشد منه اختياراً للرجال والعلماء".

وكذلك أكد أساطين الأمة على أن لا يؤخذ العلم إلا من الكبار.

فإن للكبار فضلاً من الخبرة وتقدم السن والرزانة والوقار والجلالة والتزود من الحكمة ما ليس للصغار، فمن هنا ينسب إلى ابن مسعود رضي الله عنه قوله: "إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم، فإذا كان العلم في صغاركم سفه الصغير الكبير"، ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: "لن يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم فإذا أتاهم من أصاغرهم فقد هلكوا[2].

هذا. وإن في الإسلام منزلة خاصة للكبير، ففي العديد من الأحاديث

[1] مجلة الرابطة، ذو الحجة ١٤٢١هـ، العدد: ٤٣٤، من مقال للأستاذ محمد رجاء حنفي.

[2] غريب الحديث للقاسم بن سلام ٣/٣٦٩.

الشـريفة تأكيـد علـى مراعـاة حرمـة كبـار السـن وتـوقيرهم واحترامهـم وتفضيلهم، ففي حديث جاء: "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس على قدر منازلهم (مسلم) وفي حديث آخر: "أراني في المنام اتسوك بسواك، فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر، فناولتُ السواك الأصغر، فقيل لي: كبّر .. فدفعته إلى الأكبر منهما" (متفق عليه).، وهناك حديث مشهور: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا" ويقولون: "من ليس له كبير، فليشتر له كبيراً"، ويقولون: "أكبر منك بيوم أعرف عنك بسنة"، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ليليني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم".

الزم الأدب:

العلـــم إذا لم يكـــن في طيـــه أدب
يعـــد جهـــلاً لأن العلـــم آداب

لا حاجة إلى إلقاء الضوء كثيراً على بيان أهمية الأدب ومراعاة التأدب مع المعلمين والأساتذة، وتوقيرهم توقيراً لا مزيد عليه، فهذا شيء معروف، فهو أول ما يعلم الصبي حينما يبدأ تعليمه حروف التهجي، فهناك تأكيد بالغ على احترام المعلم، حتى فضله بعض الشعراء على الوالد:

أفضـــل أســـتاذي علـــى نفـــس والـــدي
وإن نـــالني مـــن والـــدي العـــز والشـــرف
فهـــذا مربـــي الـــروح والـــروح جـــوهر
وذاك مربـي الجسـم والجسـم مـن صـدف

وتاريخ تراثنا العلمي والتربوي زاخر بأمثلة رائعة من هذا الباب،

فمما جاء في الكتب أن الخليفة المأمون أحضر الشيخ النحوي: (الفراء) ليعلم ولدي المأمون علوم العربية، وذات يوم أراد الفراء أن ينهض من درسه، فتسابق الولدان الأميران إلى حذائه ليقدماه إليه، وتنازعا على ذلك لحظة، ثم اتفقا على أن يحمل كل منهما من الحذاء واحدة[١].

ويحكى عن أبي عبيد – العالم الزاهد الراوية الثقة – أنه قال: "ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه"[٢].

إلى هذا الحد العجيب بلغ احترام المعلمين في الأمة، فلابد لمن يتوخى البركة في علمه أن يكون حريصاً على احترام أساتذته، يحكى عن علي بن أبي طالب: "من علمني حرفاً، صرت له عبداً". قال الشاعر:

إن المعلـــم والطبيـــب كلاهمـــا
لا ينصـــحان إذا همـــا لم يكرمـــا
فاصـــبر لـــدائك إن أهنـــت طبيبـــه
واصـــبر لجهلـــك إن جفـــوت معلمـــا

وقال بعض البلغاء: إن من الشريعة أن تجل أهل الشريعة، ومن الصنيعة أن ترب حسن الصنيعة.

عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ليس من أخلاق المؤمن الملق[٣] إلا في طلب العلم"[٤]، وقال

---

[١] أدب الدنيا والدين، ص: ٢٩.

[٢] في ظلال القرآن، تفسير الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ [الحجرات: ٤].

[٣] الملق هو التضرع والدعاء والزيادة في التودد.

[٤] أخرجه الخطيب في: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٢١١، رقم: ٣٨٨).

الرسول صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق، ذو الشيبة في الإسلام، وذو علم، وإمام مقسط".

وقال أبو حنيفة:

"ما وصل من وصل إلا بالحرمة، وما سقط من سقط إلا بترك الحرمة".

احرص على تنمية مواهبك:

إن أنفع طريقة لصقل المواهب أن تكثر من مطالعة الكتب، فإنها: "تفتق الذهن، وتهدي العبر والعظات، وتمدّ المطلع بمدد من الحكم، وتطلق اللسان، وتنمي ملكة التفكير، وترسّخ الحقائق، وتطرد الشبه، وهي سلوة للمتفرّد، ومناجاة للخاطر، ومحادثة للسامر، ومتعة للمتأمل، وسراج للساري، وكلما كرّرت المعلومة وضبطت، ومحّصت، أثمرت وأينعت وحان قطافها، واستوت على سوقها، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، وبلغ الكتاب بها أجله، والنبأ مستقره".

جاء في الحديث: "منهومان لا يشبعان: منهوم في العلم، ومنهوم في المال".

وقالوا: علّم علمك، وتعلم علم غيرك، فإذاً أنت قد علمت ما جهلت، وحفظت ما علمت، وقال الخليل بن أحمد: اجعل تعلمك دراسة لعلمك واجعل مناظرة المتعلم تنبيهاً على ما ليس عندك، وقال بعضهم: لا تكدّوا هذه القلوب ولا تهملوها، فخير الفكر ما كان عقب الجمام، ومن أكره بصره عشي، وعاودوا الفكرة عند نبوات القلوب، واشحذوها بالمذاكرة، ولا تيأسوا من إصابة الحكمة إذا امتحنتم ببعض الاستغلاق، فإن من أدام قرع الباب ولج، وقال الشاعر:

إذا المــــرء أعيتـــه الســـيادة ناشـــئاً

فمطلبهـــا كهـــلاً عليـــه شـــديد

وقال الأحنف: السؤدُد مع السواد، وتقول الحكماء: من لم ينطق بالحكمة قبل الأربعين لم يبلغ فيها[١].

وهجر المطالعة، وترك النظر في الكتب والانفراد بها، حُبسة في اللسان، وحصر للطبع، وركود للخاطر، وفتور للعقل، وموت للطبيعة، وذبول في رصيد المعرفة، وجفاف للفكر، وما من كتاب إلا وفيه فائدة أو مثل، أو طُرفة، أو حكاية، أو خاطرة، أو نادرة.

هذا. وفوائد القراءة فوق الحصر، ونعوذ بالله من موت الهمم، وخسة العزيمة، وبرود الروح، فإنها من أعظم المصائب[٢].

رتب المواعيد:

نظّم الوقت، ورتّب المواعيد في دفتر صغير، فوقت للقراءة، ووقت للمطالعة، ووقت للراحة (لكل أجل كتاب).

ومما استفدته من بعض العلماء أن الصلاة ترتب الأوقات، أخذاً من قول الباري: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] فلو أن العبد وزّع أعماله الدينية والدنيوية بعد كل صلاة لوجد سعة في الوقت، وفُسحة في الزمن.

وأنا أضرب لك مثلاً: فلو أن طالب العلم جعل ما بعد الفجر

---

[١] البيان والتبيين: ١٩٣ -١٩٤.

[٢] لا تحزن: ....

للحفظ في أي فن شاء، وجعل بعد الظهر للقراءة السهلة في المجامع العامة، وجعل بعد العصر للبحث العلميّ الدقيق، وما بعد المغرب للزيارة والأنس، وما بعد العشاء لقراءة الكتب العصرية والبحوث والدوريات والجلوس مع الأهل، لكان هذا حسناً، والعاقل له من بصيرته مدد ونور، ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩][1].

في مكتبة الكونجرس لوحة مكتوب عليها: الكونُ بني على النظم، وهذا صحيح، ففي الشرائع السماوية الدعوة إلى التنظيم والتنسيق والترتيب، وأخبر سبحانه وتعالى أن الكون ليس لهواً ولا عبثاً، وأنه بقضاء وقدر، وأنه بترتيب وبحسبان: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [الرحمن: ٥] ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩][2].

داوم على العمل:

قال الشوكاني: أوصاني بعض العلماء فقال: لا تنقطع عن التأليف ولو أن تكتب في اليوم سطرين، قال: فأخذت بوصيته، فوجدت ثمرتها.

وهذا معنى الحديث: "خير العمل ما داوم عليه صاحبه، وإن قل"، وقالوا: "القطرة مع القطرة تجتمع سيلاً عظيماً":

أما ترى الحبل بطول المدى

على صليب الصخر قد أثرا

---

[1] أيضاً.

[2] لا تحزن: ١٨٤.

وإنما يأتينا الاضطراب من أننا نريد أن نفعل كل شيء مرة واحدة، فنملّ ونتعب ونترك العمل، ولو أننا أخذنا عملنا شيئاً فشيئاً ووزعناه على مراحل، لقطعنا المراحل في هدوء، واعتبر بالصلاة، فإن الشرع جعلها في خمسة أوقات متفرقة، ليكون العبد في استجمام وراحة، ويأتي لها بالأشواق، ولو جُمعت في وقت لملّ العبد، وفي الحديث: "إن المنبتّ لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع"، ووُجد بالتجربة أن من يأخذ العمل على فترات، ينجز ما لم ينجزه من أخذه دفعة واحدة، مع بقاء جذوة الروح وتوقد العاطفة[١].

وكان صلى الله عليه وسلم يتخول الصحابة بالموعظة، كراهية السآمة عليهم، وكان ينهى عن التعمق والتكلف والتشديد، ويخبر أنه لن يشاد الدين أحد، إلا غلبه، وفي الحديث – أيضاً – أن الدين متين، فأوغلوا فيه برفق، وفي الحديث – أيضاً – أن لكل عابد شرّة، وهي الشدة والضراوة والاندفاع، ولا يلبث المتكلف إلا أن ينقطع، لأنه نظر إلى الحالة الراهنة ونسي الطوارئ وطول المدة وملالة النفس، وإلا فالعاقل له حد أدنى في العمل يداوم عليه، فإن نشط زاد، وإن ضعف بقي على أصله، وهذا معنى الأثر من كلام بعض الصحابة: إن للنفوس إقبالاً وإدباراً فاغتنموها عند إقبالها، وذروها عند إدبارها[٢].

اهتم بالحفظ وراع أوقاته وأمكنته:

يقال: من حفظ حجة على من لم يحفظ، وقالوا: حرف في قلبك

---

[١] لا تحزن: ٣٠٢.

[٢] لا تحزن: ٢٩٩.

خير من ألف في كتبك، وقالوا: لا خير في علم لا يعبر معك الوادي، ولا يعمر بك النادي، وقالوا أيضاً: قليل يوعى خير من كثير ينسى، وقال أعرابي: حرف في قلبك خير من عشرة في طومارك، وكان يقال: يكتب الرجل أحسن ما يصنع، ويحفظ أحسن ما يكتب، وكان يقال: اجعل ما في كتبك بيت مال، وما في قلبك النفقة.

فلابد لطالب النبوغ أن تكون عنده ذخيرة وافية من حفظ ما يستحسن من الكلام المنظوم والمنثور، فبدون ذلك لا يمكن أن يكون مبدعاً أو مجيداً للكلام، يقول ابن الجوزي متكلماً عن أهمية الحفظ وأوقاته، وما يجب أن يراعى في ذلك من الأمور:

"اعلم أن المتعلم يفتقر إلى دوام الدراسة، ومن الغلط الانهماك في الإعادة ليلاً ونهاراً، فإنه لا يلبث صاحب هذه الحال إلا أياماً ثم يفتر أو يمرض.

وقد روينا أن الطبيب دخل على أبي بكر الأنباري في مرض موته، فنظر إلى مائة كتاب وقال: قد كنت تفعل شيئاً لا يفعله أحد، ثم خرج فقال: ما يجيء منه شيء.

فقيل له: ما الذي كنت تفعل؟ قال: كنت أعيد كل أسبوع عشرة آلاف ورقة.

ومن الغلط تحميل القلب حفظ الكثير أو الحفظ من فنون شتى، فإن القلب جارحة من الجوارح، وكما أن من الناس من يحمل المائة رطل، ومنهم من يعجز عن عشرين رطلاً، فكذلك القلوب.

فليأخذ الإنسان على قدر قوته ودونها، فإنه إذا استنفدها في وقت.. ضاعت منه أوقات.

كما أن الشره يأكل فضل لقيمات فيكون سبباً إلى منع أكلات، والصواب أن يأخذ قدر ما يطيق ويعيده في وقتين من النهار والليل، ويرفه القوى في بقية الزمان، والدوام أصل عظيم، فكم ممن ترك الاستذكار بعد الحفظ فضاع زمن طويل في استرجاع محفوظ قد نسي.

وللحفظ أوقات من العمر، فأفضلها الصبا وما يقاربه من أوقات الزمان، وأفضلها إعادة الأسحار وأنصاف النهار، والغدوات خير من العشيات، وأوقات الجوع خير من أوقات الشبع.

ولا يحمد الحفظ بحضرة خضرة وعلى شاطئ نهر، لأن ذلك يلهي، والأماكن العالية للحفظ خير من السوافل، والخلوة أصل، وجمع الهم أصل الأصول، وترفيه النفس من الإعادة يوماً في الأسبوع ليثبت المحفوظ وتأخذ النفس قوة كالبنيان يترك أياماً حتى يستقر ثم يبنى عليه، وتقليل المحفوظ مع الدوام أصل عظيم، وأن لا يشرع في فن حتى يحكم ما قبله، ومن لم يجد نشاطاً للحفظ فليتركه، فإن مكابرة النفس لا تصلح، وإصلاح المزاج من الأصول العظيمة، فإن للمأكولات أثراً في الحفظ، قال الزهري: ما أكلت خلاً منذ عالجت الحفظ، وقيل لأبي حنيفة: بم يستعان على حفظ الفقه؟ قال بجمع الهم، وقال حماد بن سلمة: بقلة الغم.

ثم لينظر ما يحفظ من العلم، فإن العمر عزيز والعلم غزير، وإن أقواماً يصرفون الزمان إلى حفظ ما غيره أولى منه، وإن كان كل العلوم حسناً، ولكن الأولى تقديم الأهم والأفضل.

وأفضل ما تشوغل به حفظ القرآن ثم الفقه، وما بعد هذا بمنزلة تابع"[1].

فينبغي أن تكون عندك ملكة الاصطفاء، وموهبة الاختيار، فلا تقع عينك إلا على الأجلّ الأجمل، ولا يصطفى إلا الغالي النفيس.

لا تكثرت بالأمراض والعاهات:

إن ذا الهمة العالية والطموح البالغ لا يحول دون تقدمه عذر من مرض أو عاهة أو فقر وفاقة، بل إنه يمضي قدماً في سبيل تحقيق طموحاته وآماله غير مكترث بالعراقيل والسدود، وإن تاريخنا المجيد يزخر بمبدعين ونوابغ كانوا ابتلوا بأمراض وعاهات، ولكن أمراضهم المزمنة وعاهاتهم الشديدة لم تعرقل سيرهم في طريق تقدمهم ووصولهم إلى ما كانوا يصبون إليه من مجد وسمو وبلوغ إلى المعالي.

"يقول وليم جايمس: "عاهاتنا تساعدنا إلى حد غير متوقّع، ولو لم يعش دوستيو فسكي وتولستوي حياة أليمة لما استطاعا أن يكتبا رواياتهما الخالدة، فاليتم، والعمى، والغربة، والفقر، قد تكون أسباباً للنبوغ والإنجاز، والتقدم والعطاء".

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت

ويبتلي اللهُ بعض القوم بالنعم

إن الأبناء والثراء، قد يكونون سبباً في الشقاء: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ﴾ [التوبة: ٥٥]، ألّف ابن الأثير كتبه الرائعة، كـ: "جامع الأصول" و"النهاية" بسبب أنه مقعد.

---

[1] صيد الخاطر: ١٧٧.

وألف السرخسي كتابه الشهير "المبسوط" خمسة عشر مجلداً، لأنه محبوس في الجب.

وكتب ابن القيم "زاد المعاد" وهو مسافر، وشرح القرطبي (صحيح مسلم) وهو على ظهر السفينة، وجل فتاوى ابن تيمية كتبها وهو محبوس، وجمع المحدثون مئات الآلاف من الأحاديث لأنهم فقراء غرباء.

وأخبرني أحد الصالحين أنه سُجن فحفظ في سجنه القرآن كله، وقرأ أربعين مجلداً، وأملى أبو العلاء المعري دواوينه وكتبه وهو أعمى!

وعمي طه حسين فكتب مذكراته ومصنفاته.

وكم من لامع عُزل من منصبه، فقدم للأمة العلم والرأي أضعاف ما قدَّم مع المنصب.

كم مرة حفّت بك المكاره
خار لكَ اللهُ وأنت كاره

يقول فرانسيس بايكون: "قليل من الفلسفة يجعل الإنسان يميل إلى الإلحاد، لكنّ التعمق في الفلسفة يقرب عقل الإنسان من الدين".

يقول الدكتور أ.أ.بريل: "إن أي مؤمن حقيقي لن يصاب بمرض نفسي"[١].

والتاريخ العلمي القديم والحديث للبشرية يزخر بأمثلة – لا تصدق – من أعاجيب للعزيمةوالصبر على الأمراض وتحدي العاهات ومقاومة العقبات، نذكر فيما يلي نماذج من ذلك:

فقدت فتاة أمريكية تدعى: "هيلين" بصرها وسمعها ونطقها، وهي

---

[١] لا تحزن: ١٢٠.

في الثانية من عمرها، ومع ذلك تحدت العجز، وقاومت هذه الوجوه الثلاثة من النقص، فتعلمت وقرأت بالأصابع، وتكلمت بحركات الشفاه، وفهمت كلام الناس بلمس شفاههم أو رقابهم وهم يتكلمون، وبلغت درجة ممتازة من الثقافة، وألفت كتباً ونشرت مقالات وأصبحت بكفاحها ونضالها إحدى النساء العبقريات، وجعلت الناس في المشارق والمغارب يتحدثون عنها كأعجوبة من أعاجيب العزيمة والمثابرة، والإلحاح للوصول لتحقيق ما يبغيه الإنسان لنفسه من مجد ورفعة، فهي فقدت نطقها وسمعها وبصرها، ومع ذلك لم تيأس ولم تقنط، استغلت أصابعها، وصارت عن طريق اللمس تتعرف إلى مختلف الأشياء "ويد الضرير وراءها عين ترى"، كما يقول أمير الشعراء أحمد شوقي.

وهذا عطاء بن أبي رباح الذي كان في صدر الإسلام، وكان أسود اللون، مفلفل الشعر أفطس الأنف، أعرج الساق، أشل الجسم، أعور العين، ثم كُفّ بصره ولم تمنعه كل هذه الآفات أن يتعلم ويتقدم وينافس ويسبق، حتى صار أحد الأئمة الأعلام، وانتهت إليه الفتوى في مكة، وكان حجة بالإجماع، وكان الحكام ينادون أثناء الحج: لا يفتي في الموسم إلا عطاء بن أبي رباح، وكان أهل مكة يقولون في عطاء هذا إذا سئلوا عن رأيهم فيه: إنه كالعافية، إن جاءت الناس فرحوا بها، وإن غابت عنهم حنوا إليها، وربك يخلق ما يشاء ويختار.

وهذا الأحنف بن قيس كان أعرج أعور، متراكم الأسنان، صغير الرأس، مائل الذقن، قصير القامة، بارز الوجه، منخسف العينين، ومع كل هذه التشوهات الخلقية إلا أنه كان عملاقاً بالغ التأثير، حتى وصفه

الجاحظ بأنه: "أبين العرب والعجم قاطبة"، وقال عنه الحسن: ما رأيت شريف قوم كان أفضل من الأحنف، وكان إذا غضب غضب له مائة ألف لا يسألونه فيما غضب، وكان خطيباً مفوهاً وحكيماً عاقلاً.

ومصطفى صادق الرافعي كان به صمم، ومع ذلك كان أديباً بارزاً.

أما أبان بن عثمان فقد كان به صمم وحول وبرص وأصابه الفالج، ولكنه كان من فقهاء المدينة العشرة المشهورين، كما أنه كان من كبار علماء الحديث والفقه في زمانه.

وقد كان محمد بن سيرين أصم، إلا أنه كان فقيهاً عالماً ورعاً أديباً، قال عنه الشعبي، عليكم بذلك الأصم، وقال عنه الأصمعي: إذا حدّث الأصم بشيء فاشدد يديك به.

فاستطاع كثير من المعوقين، وممن لم يتصفوا بالرشاقة والوسامة وكمال الجسم أن يبدعوا في علوم متنوعة، وأن يصنعوا التاريخ، وأن يؤثروا في واقعهم الذي يعيشونه[1].

فيا طالب النبوغ والعظمة امض قدماً في طريقك بهمة وطموح غير مكثرت بما قد تصاب به — لا قدر الله — من بعض الأمراض والعلل، فقد رأيت كيف صبر سلفنا وصابروا وشقوا طريقهم إلى الأمام رغم الإعاقات والأمراض المزمنة، حفظني الله وإياك منها.

قال الرافعي: "إن حياة الحيّ مصيبة تكبر كلما كبر"[2].

---

[1] المجتمع، الكويت، من مقال للدكتور على الحمادي بعنوان: حجة على كل صحيح.
[2] كتاب المساكين: ٢٣.

واعلم يا أخي – طالب المجد – أن الزمان عادة لا يبتسم إلا لصغار الهمم، وباعة الذمم، وزمناء المروءة، وخبثاء النفوس.

ولله در بعضهم في قوله:

مـــن يـــرج بالفضـــل نجاحـــاً يمـــت

جوعـــاً ولـــو كـــان بـــديع الزمـــان

ومـــــن يَقـــــد أو يتمســــخر يعــــش

عيشـــاً رخيّـــا في ظـــلال الأمـــان

وقال المتنبي:

تصـــفو الحيـــاة لجاهـــل أو غافـــل

عمـــا مضـــى منهـــا ومـــا يتوقّـــعُ

ولمـــن يغـــالط في الحقـــائق نفســـه

ويســـومُها طلـــبَ المحـــالِ فتطمـــعُ

كن واعياً.. ولا تكن حاكيا:

قال الإمام الشافعي: "من سمع بأذنيه صار حاكياً، ومن أصغى بقلبه كان واعياً، ومن وعظ بفعله كان هادياً"، فيجب على الطالب أن يعي ما يسمع، ويهضم ويفهم ما يقرأ، فكم من سامع لا يعي، وقارىء لا يفهم، وفاهم لا يحفظ، فلابد من إحضار القلب والسماع لدى السماع والقراءة حتى يعي ويفقه ويستوعب المضامين استيعاب التربة العطشى ماء المطر:

فـــــروح الـــــروح أرواح المعـــــاني

ولـــيس بـــأن طعمـــت ولا شـــربتا

وقال أبو مُسْهِر: ما حدثت رجلاً قط إلا أعجبني حسن إصغائه، حفظ عني أم ضيّع، وقال عقيل بن دُرُستْ: نشاط القائل على قدر فهم المستمع، وقال أبو عباد كاتب أحمد بن أبي خالد: للقائل على السامع ثلاث: جمع البال، والكتمان، وبسط العذر[١]، وكان يقال: أول العلم: الصمت، والثاني: الاستماع، والثالث: الحفظ، والرابع: العمل به، والخامس: نشره[٢].

على أنه لا يُنكر الفرق في فهم المعاني لتباين المدارك والقرائح، كما قال المتنبي:

ولكـــن تأخـــذ الآذان منــــه

علـــى قـــدر القـــرائح والعلـــوم

أكثر من الاطلاع والقراءة:

مـــا مـــر في هـــذه الـــدنيا بنـــو زمـــن

إلا وعنـــدي مـــن أنبـــائهم طـــرف

قال عليّ رضي الله عنه: "كل شيء يعز إذا نزر، ما خلا العلم، فإنه يعز إذا غزر".

الإكثار من المطالعة، والاعتناء بغزارة المادة العلمية وتوسيع الثقافة وتعميق الفكر، ومحاولة إدراك مقاصد الأمور واكتشاف حقائق الأشياء من الاشياء المهمة لطالب النبوغ، يقول ابن الجوزي وهو يحث على الإكثار من المعرفة والتنوع في المطالعة: "للفقيه أن يطالع من كل فن طرفاً

---

[١] البيان والتبيين: ٣٠٠.

[٢] البيان والتبيين: ٣٨٦.

من تاريخ وحديث ولغة وغير ذلك، فإن الفقه يحتاج إلى جميع العلوم فليأخذ من كل شيء منها مهما، ولقد رأيت بعض الفقهاء يقول: اجتمع الشبلي وشريك القاضي، فاستعجبت له كيف لا يدري بُعد ما بينهما، فينبغي لكل ذي علم أن يلم بباقي العلوم، فيطالع منها طرفاً، إن لكل علم بعلم تعلق"[١].

فالقراءة هي الباب الأول للعلم والمعرفة، ولذلك كانت أول كلمة نزلت من القرآن المجيد كلمة: "اقرأ"، ولقد كان الأسلاف الأماجد يسامرون الكتب القيمة ليلاً ونهاراً، فتشغلهم عن طعامهم وشرابهم وتستغرق أغلب أعمارهم، وتنسيهم كل لهو ولذة، وتسيطر عليهم حتى في سكرة الموت وساعة الرحيل، فقد قيل للإمام الخوارزمي عند موته: ما تشتهي؟ فأجاب: النظر في حواشي الكتب...، وينسب إلى الفارابي قوله الآتي الذي يدل على مدى حرصه على القراءة:

"ليت لي بعدد حجارة بلخ كتباً، ولي عمر كعمر نوح، وأجعل أيامي كلها قراءة".

وكانوا يحسنون اختيار ما يقرءون حتى يستفيدوا نفعاً في أخلاقهم أو معارفهم أو تجاربهم في الحياة، وكان القرآن هو الكتاب الأول الذي يحتل الصدارة عند المطالعة، ففيه الملة والأخلاق والأدب والتاريخ، وفيه التذكرة العازلة عن رحاب الشر ومباداءات الفساد، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالأَخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ

---

[١] صيد الخاطر: ٤٣٨.

مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] ووصف الذين لا يتدبرون الآيات بموت القلوب وانغلاقها فقال: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

وكذلك حرص الأوائل على حسن الاختيار فيما يقرءون من صحف وكتب، لأنهم سمعوا ربهم يحذرهم من سوء استعمال الأعضاء في غير ما شرعت له من حق وصدق، فيقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦] ولأنهم رأوا ربهم حينما أمر بالقراءة في قوله: "اقرأ" قد قرن هذا الأمر بما يذكر القارئ بربه الذي أبدعه وصوره، والذي أنشأه من دم غليظ متجمد، وبما يذكره بكرم ربه الوافي الذي يجب أن يقابل بحسن الاستعمال وجميل الشكران، وبأنه أنعم عليه بنعمة القلم الكبرى ليعلمه من أسراره وأخباره ما لم يكن يعلم، فقال في أسلوب كله تمجيد للقراءة السامية الطاهرة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ -٥].

ومن هنا.. استجاب الأوائل لهذا التوجيه الإلهي الحميد، فجعلوا المطالعة لوناً من ألوان العبادة، تعرفهم بربهم وتقربهم من رضوانه وتزيدهم إيماناً بجلاله وسلطانه[1].

أتى الحافظ ابن كثير أبي حاتم مؤلف كتاب "علل الحديث" إلى القاهرة ليتم تعليمه فمكث في مصر سبعة أشهر، لم يجد هو وأصحابه من

[1] بتعديل من الموسوعة الشرباصية، ٤٦٥/٣.

الوقت ما يجهزون به لطعامهم مرقاً، وكانوا يطوفون بالنهار على شيوخهم يتلقون العلم منهم، وفي الليل ينسخون ويقابلون.

والفيلسوف ابن سينا لم ينم طيلة اشتغاله بالعلم ليلة كاملة، ولم يشتغل أثناء النهار بسوى المطالعة، والفيلسوف ابن رشد لم يدع القراءة والكتابة منذ بلغ الحلم إلا ليلة وفاة أبيه.

وأختم هذا المبحث – مبحث القراءة والتأمل – بما اعتبره عباس محمود العقاد أنفع قراءة..، يقول: "هذه الندرة في الكتب التي تيسرت لي أيام التلمذة وما بعدها علمتني دستوراً للمطالعة أدين به إلى الآن وخلاصته: أن كتاباً تقرأه ثلاث مرات أنفع من ثلاثة كتب تقرأ كلا منها مرة واحدة"[١].

حدّد فناً واحداً لتتخصص فيه:

قال المتنبي:

أفضل ما يطلب النجاح به الـطبع وعند التعمق الزلل[٢]

الإنسان خلق بمواهب محددة، ليؤدي عملاً محدداً، وكما قالوا: اقرأ نفسك، واعرف ماذا تقدم؟

فمن أولى دعائم النجاح معرفة المرء لـ: "الموهبة – أو المواهب –"، التي يودعها الرب جل وعلا كل إنسان، فقيمة كل امرئٍ ما يحسنه، واكتشافُه لما ميز به من: "موهبة خاصة وقدرة متميزة" يُعتبر: "حجر

[١] أنا: ٥١.

[٢] المعنى: إذا فعل الإنسان الشيء بعادته وجد النجاح فيه، وإذا بالغ وتعمق... أخطأ وزل.

الأساس" أو "اللبنة الأولى" في بناء الشخصية وتكوين الذات وطريق الصعود إلى ما يتوخاه الإنسان من المكانة الرفيعة:

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء

فكل صاحب إبداع يجد قيمته في عمله الإبداعي ومجال تخصصه، فالعلم – مثلاً – بحر لا ساحل له، فعلى الرجل أن يختار من أنواع العلم وفنون المعرفة ما يجد رغبة خاصة في تحصيله، وقد قال بعض كبار أهل العلم: "اقصد من أصناف العلم إلى ما هو أشهى لنفسك، وأخف على قلبك، فإن نفاذك فيه على حسب شهوتك له، وسهولته عليك"[1].

ويقول ابن سيرين – وهو يشير إلى الانتقاء في عملية التقاط اللآلي والدرر من بحر العلم الزخار –: "العلم أكثر من أن يحاط به، فخذوا من كل شيء أحسنه، وفيما بين يذلك سقطات الرأي وزلل القول، ولكل عالم هفوة، ولكل صارم نبوة".

وهناك مقولة أخرى تدل على هذا المعنى، وتؤكد على التخصص في أحد فنون العلم والتبريز فيه والإحاطة بدقيقه وصغيره مع الإلمام بباقي العلوم، فإن لكل علم علاقة بعلم آخر، وهي: "الإلمام بكل شيء من شيء، والإلمام بشيء من كل شيء".

من هنا.. ينبغي للإنسان الراغب في الإبداع أن يختار فناً واحداً، يتخصص فيه، ويلم بجميع نواحيه، ويتعمق فيه، وقد أشار القرآن الكريم

---

[1] العقد الفريد، ١/٦٨ (الجزء الثاني).

نفسه إلى التخصص في فن واحد، يقول عالم دمشق الشيخ عبد الرحمن الكوكبي: "ومن (الغرارة) ظننا أن الكياسة في "أدري وأقدر"، جواباً للنفس في مقاصد كثيرة شتى، والحقيقة أن الكياسة لا تتحقق في الإنسان إلا في فن واحد فقط يتولع فيه فيتقنه حق الإتقان... كما قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤] فالعاقل من يتخصص بعمل واحد ثم يجاوب نفسه عن كل شيء غيره: "لا أدري ولا أقدر"، لأن الأول يتكلف أعمالاً لا يحسنها فتفسد عليه كلها، والثاني يتحرى لكل عمل لازم له من يحسنه فتنتظم أموره، ويهنأ عيشه"[1].

في الحديث الشريف: "كل مُيَسر لما خلق له"، فلماذا تعتسف المواهب، ويلوى عنق الصفات والقدرات ليا؟! إن الله إذا أراد شيئاً هيّأ أسبابه، وما هناك أتعس نفساً وأنكد خاطراً من الذي يريد أن يكون غير نفسه، والذكيّ الأريب هو الذي يدرس نفسه، ويسد الفراغ الذي وضع له، إن كان في الساقة كان في الساقة، وإن كان في الحراسة كان في الحراسة، هذا سيبويه شيخ النحو تعلّم الحديث فأعياه، وتبلّد حسه فيه، فتعلم النحو، فمهر فيه وأتى بالعجب العجاب، يقول أحد الحكماء: الذي يريد عملاً ليس من شأنه، كالذي يزرع النخل في غوطة دمشق، ويزرع الأترُجَّ في الحجاز.

حسان بن ثابت لا يجيد الأذان، لأنه ليس بلالاً، وخالد بن الوليد لا يقسم المواريث، لأنه ليس زيد بن ثابت، وعلماء التربية يقولون: حدّد موقعك:

[1] الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي: ٣٦٩.

وللمعـــــارك أبطــــال لهـــا خلقـــوا
وللـــــدّواوين حُسّـــــابٌ وكُتَّـــــابُ[١]

وليس معنى ذلك أننا نمنع من التوسع في العلوم، ونرى الاقتصار على فن واحد في جميع الحالات، بل من وجد في نفسه قدرة على التخصص في أكثر من فن، فليفعل ذلك، فكم كان من سلفنا من كان إماماً في أنواع عديدة من العلم، فابن الجوزي (٥١٠ -٥٩٧هـ) مثلاً لم تمنع شهرته في الوعظ والحديث من التبحر في غيرهما والمشاركة في ألوان الثقافة الأخرى، فبرع في علوم مختلفة، وحاز مكانة في أكثر من ميدان، وطلب من كل فن ما أطاق، يقول: "إني رجل حبب إليّ العلم من زمن الطفولة، فتشاغلت به، ثم لم يحبب إليّ فن واحد منه، بل فنونه كلها، ثم لا تقتصر همتي في فن على بعضه، بل أروم استقصاءه".

وفي الحق أنه خرج من تحصيله بثمرة فائقة جعلت له منزلة في جوانب العلم المتعددة وأحلته مكاناً مرموقة كما قال في آخر عمره: "وما نلته من معرفة العلم لا يقاوم"[٢].

وانظر كيف يحث الجاحظ على التخصص في فن واحد: "وأنا أوصيك ألا تدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعة، وأنهما يناسبانك بعض المناسبة، ويشاكلانك في بعض المشاكلة؛ ولا تهمل طبيعتك، فيستولي الإهمالُ على قوة القريحة، ويستبد بها سوء العادة، وإن كنت ذا بيان وأحسست من نفسك بالنفوذ في الخطابة والبلاغة، وبقوة

---

[١] لا تحزن: ٢٩٠.
[٢] صيد الخاطر: ٤ -٥.

المُنّة يوم الحفل، فلا تقصر في التماس أعلاها سُورة، وأرفعها في البيان منزلة، ولا يقطعَنَّك تهييب الجهلاء، وتخويف الجبناء، ولا تصرفنِّك الروايات المعدولة عن وجوهها، المتأوّلة على أقبح مخارجها، وكيف تطيعهم بهذه الروايات المعدولة، والأخبار المدخولة، وبهذا الرأي الذي ابتدعوه من قِبَل أنفسهم، وقد سمعتَ الله تبارك وتعالى ذكر داود النبي عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ١٧ -٢٠]، فجمع له بالحكمة البراعة في العقل، والرجاحة في الحلم، والاتساع في العلم، والصواب في الحكم، وجمع له بفصل الخطاب تفصيل وتلخيص الملتبس، والبَصَر بالحز في موضع الحزّ، والحَسْم في موضع الحسم.

وذكر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شُعيبا النبي عليه السلام، فقال: "كان شعيب خطيب الأنبياء"، وذلك عند بعض ما حكاه الله في كتابه، وجلاّه لأسماع عباده، فكيف تهاب منزلة الخطباء وداود عليه السلام سلفك، وشعيب إمامك، مع ما تلوناه عليك في صدر هذا الكتاب من القرآن الحكيم، والآي الكريم، وهذه خطب رسول صلى الله عليه وسلم مدوَّنة محفوظة ومخلّدة مشهورة، وهذه خطب أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم، وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم شعراء ينافحون عنه وعن أصحابه بأمره، وكان ثابت بن قيس بن الشمَّاس الأنصاري خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يدفع ذلك أحد، فأما ما ذكرتم من الإسهاب والتكلف، والخطل والتزيد، فإنما يَخْرُج إلى الإسهاب المتكلف وإلى الخطل المتزيّد، فأما أرباب الكلام، ورؤساء أهل

البيان، والمطبوعون المعاودون وأصحاب التحصيل والمحاسبة، والتوقي والشفقة، و الذين يتكلمون في صلاح ذات البين، وفي إخفاء نائرة، أو في حَمالة، أو على منبر جماعة، أو في عقد إملاك بين مسلم ومسلمة، فكيف يكون كلام هؤلاء يدعو إلى السلاطة والمراء، وإلى الهذَر والبذَاء، وإلى النفج والرياء، ولو كان هذا كما يقولون لكان عليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس أكثر الناس فيما ذكرتم"[١].

وحادث ابن تيمية – الآتي ذكره – يدل – أيضاً – على أنه ينبغي للإنسان أن يرغب في العمل الذي يرتاح له، يقول ابن تيمية رحمه الله:

"ابتدأني مرض، فقال لي الطبيب: إن مطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض، فقلت له: لا أصبر على ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك، أليست النفس إذا فرحت وسُرت قويت الطبيعة، فدفعت المرض؟ فقال: بلى، فقلت له: فإن نفسي تُسَرُّ بالعلم، فتقوى به الطبيعة، فأجد راحة، فقال: هذا خارج عن علاجنا ﴿لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النور: ١١].

لعل عتبك محمود عواقبه

فربما صحت الأجسام بالعلل[٢]

اعرف ثمنك بنفسك:

قال علي بن أبي طالب:

"قيمة كل امرئ ما يحسن"، ويقول الجاحظ وهو يبين أهمية هذه

---

[١] البيان والتبيين، ص: ١٤٩ -١٥٠.

[٢] لا تحزن: ٣١٢.

الكلمة: "فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية، ومجزئة مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية"[(١)].

ومعناها: أن علم الإنسان أو أدبه أو عبادته أو كرمه أو خلقه هي في الحقيقة قيمته، وليست صورته أو هندامه ومنصبه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى﴾ [عبس: ١ -٢] ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١].

قيمة الإنسان ما يحسنها
كثر الإنسان منه أم أقل

فقيمة العالِم علمه قلَّ منه أو كثر، وقيمة الشاعر شعره أحسن فيه أو أساء، وكل صاحب موهبة أو حرفة إنما قيمته عند البشر تلك الموهبة أو تلك الحرفة ليس إلا، فليحرص العبد على أن يرفع قيمته، ويغلي ثمنه بعمله الصالح وبعلمه وحكمته، وجوده وحفظه، ونبوغه واطلاعه، ومثابرته وبحثه، وسؤاله وحرصه على الفائدة، وتثقيف عقله وصقل ذهنه، وإشعال الطموح في روحه، والنبل في نفسه، لتكون قيمته غالية عالية.

ذكر ابن القيم أن قيمة الإنسان همته، وماذا يريد.

وقال ابن تيمية: العامة تقول: قيمة المرء ما يحسنه، والخاصة تقول: قيمة المرء ما يطلبه.

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ، ص: ٧٢.

فقيمتك يا طالب العظمة ! في معانيك الجليلة وصفاتك النبيلة، وسجاياك ومآثرك ونبلك، لا في أصلك وأرومتك، قال عنترة:

إن كنــتُ عبــداً فــإني ســيد كرمــا
أو أســودَ اللــون فــإني أبــيض الخلــقِ

إن سعادتك في معرفتك للأشياء، واهتماماتك وسموك.

إن الفقر والعوز والخمول، ما كان – يوماً من الأيام – عائقاً في طريق التقدم والوصول والاستعلاء.

فهنيئاً لمن عرف ثمنه فعلاً بنفسه، وهنيئاً لمن أسعد نفسه بتوجيهه وجهاده ونبله، وهنيئاً لمن أحسن مرتين، وسعد في الحياتين، وأفلح في الكرتين[1].

أكثر من الخلوة ما استطعت:

نعم! احرص على العزلة وعدم مخالطة الناس كثيراً قدر الإمكان ضناً بالوقت، واشتغالاً بالعلم والتأمل والتفكر، قال عمر بن الخطاب: خذوا حظكم من العزلة"، وقال الجنيد: "مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة"، فليس هناك شيء أعظم نفعاً كالعزلة ولا أكثر عوناً منها على الاشتغال بالطاعة والعبادة والقراءة والمطالعة والتدبر والترقب، وصوناً للوقت من الضياع فيما لا يعني المرء، وحفظاً من آفات المخالطة والمعاشرة من الغيبة والنميمة والكذب والرياء وما إلى ذلك...

يقول ابن الجوزي: "ما سمعت ولا رأيت كالعزلة، راحة وعزاً وشرفاً، وبُعداً عن السوء وعن الشر، وصوناً للجاه والوقت، وحفظاً

[1] بتعديل من: "لاتحزن" للدكتور عائض القرني، انظروا ص: ١٣٧، و٢٥٣، و٣٠٥ منه.

للعمر، وبُعداً عن الحساد والثقلاء والشامتين، وتفكراً في الآخرة، واستعداداً للقاء الله عز وجل، واغتناماً في الطاعة، وجولان الفكر فيما ينفع، وإخراج كنوز الحكم، والاستنباط من النصوص"[١].

فلا يمكن استثمار الوقت واغتنام العمر بدون العزلة، فاحرص عليها أشد ما يكون الحرص!

كوّن مكتبتك الخاصة:

لا مناص للمشتغل بالعلم من أن تكون عنده مكتبة شخصية خاصة به، تحتوي على أهم المصادر والمراجع مما يهمه، فالكتب لرجل العلم ثروته الحقيقية، يقال: مجد التاجر في كيسه، ومجد العالم في كراريسه، وقال الطنطاوي: "كتب العالم أو طالب العلم هم أصدقاؤه" [٢]وقديماً قال المتنبي:

أعز مكان في الدنيا سرج سابح
وخير جليس في الزمان كتاب

فالكتاب – كما قال الجاحظ – نعم الذخر والعقدة، ونعم الجليس والعمدة، ونعم النشرة والنزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس لساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل[٣].

---

[١] لا تحزن: ٩١.
[٢] ذكريات علي، ٢/٢١٤.
[٣] كتاب الحيوان، نقلاً من الأسطورة للقرني: ٣٠٥.

قيِّد العلم بالكتابة واحرص على التأليف:

واحرص – كذلك – على أن تعود نفسك الكتابة والتأليف منذ طلب العلم، فإذا كانت كتب العالم أصدقاؤه، كان التأليف ولده، كما قال ابن الجوزي:

"....أو أن يصنف كتاباً من العلم، فإن تصنيف العالم ولده المخلد"[١].

قال الشوكاني: أوصاني بعض العلماء، فقال: لا تنقطع عن التأليف ولو تكتب في اليوم سطرين، قال: فأخذت بوصيته، فوجدت ثمرتها.

وقالوا: القلم أبقى أثراً، واللسان أكثر هذراً.

ونقل عن سقراط قوله: "ما بنته الأقلام، لم تطمع في دروسه الأيام، وقال أفلاطون: الخط عقال العقل، وقيل لنصر بن يسار: فلان لا يكتب، فقال: تلك الزمانة الخفية، وقالوا: ما حفظ فرّ، وما كتب قرّ، وقديماً قالت العرب: "قيدوا العلم بالكتابة، بل ينسب مثله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "قيدوا العلم بالكتاب"[٢]، وقال ذو الرمة لعيسى بن عمر: اكتب شعري، فالكتاب أحب إليّ من الحفظ، لأن الأعرابي ينسى الكلمة، وقد سهر في طلبها ليلة، فيضع في موضعها كلمة في وزنها، ثم ينشدها الناس، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلام، وآكد من ذلك وأفحم في الإقناع الذي أقسم به رب العزة بقوله جل من قائل: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]. قال أبو الفتح البُستي:

---

[١] صيد الخاطر: ٢٠.

[٢] البيان والتبيين: ٢٩٩.

إذا أقســـم الأبطـــال يومـــاً بســـيفهم

وعـــدُّوه ممـــا يكســـب المجـــد والكـــرم

كفـــى قلـــم الكُتّـــاب مجـــداً ورفعـــة

مـــدى الـــدهر أن الله أقســـم بـــالقلم

وقالوا: القلم أحد اللسانين، وقالوا: كل من عرف النعمة في بيان اللسان، كان بفضل النعمة أعرف، ثم جعل هذا الأمر قرآناً، ثم جعله في أول التنزيل، ومستفتح الكتاب، وقال عبد الرحمن بن مهدي: "أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم".

ولابد لكل كاتب أن يتقي الله في كتابته، ويجعل البيتين التاليين نصب عينيه:

ومـــا مـــن كاتـــب إلا ســـتبقى

كتابتـــــه وإن فنيـــــت يـــــداه

فـــلا تكتـــب بكفـــك غـــير شـــيء

يســـــرك في القيامـــــة أن تـــــراه

تكلم ابن الجوزي عن أهمية التأليف وضرورة الاشتغال به كلاماً رائعاً، يقول:

"...إن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة، لأني أشافه في عمري عدداً من المتعلمين، وأشافه بتصنيفي خلقاً لا تحصى ما خلقوا بعد.

ودليل هذا أن انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدونه من مشايخهم.

فينبغي للعالم أن يتوفر على التصانيف إن وفق للتصنيف المفيد، فإنه ليس كل من صنف صنف.

وينبغي اغتنام التصنيف في وسط العمر، لأن أوائل العمر زمن الطلب، وآخره كلال الحواس.

فأما إذا قلت الآلات عنده من الكتب، أو كان في أول عمره ضعيف الطلب فلم ينل ما يريده في هذا الأوان، أخّر التصانيف إلى تمام خمسين سنة"[(١)].

اعرف زمنك:

يقال: "من لم يعرف أهل زمانه فهو جاهل"، وأيضاً قالوا: علموا أولادكم لزمنهم فإنهم خلقوا في زمان غير زمانكم، فلابد للعالم أن يكون على معرفة تامة بمتطلبات العصر وتغيراته وتطوراته، ولا يعش في البرج العاجي، فهو مسؤول عن حل مشكلات العصر وإرشاد أهله إلى أن يقنعهم ويرد على أسئلتهم التي تثيرها التكنولوجيا المعاصرة والقضايا الحديثة.

كن ذا عزيمة:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة

فإن فساد الرأي أن تترددا

من أعظم شروط النجاح الثبات والعزم والجزم، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فالاضطراب والتردد والإرباك والحيرة تؤدي إلى الفشل والإخفاق:

---

(١) صيد الخاطر: ٢٢٨ -٢٢٩.

اطّـــــرح ليتـــــاً وســــــوفاً ولعـــــــلْ

وامــض كالسـيف علــى كـف البطــل

فإذا اخترت – مثلاً – تخصصا بعد ما قلبت النظر فيه، وأعطيته حقه من الدراسة والتأمل والمشاورة والاستخارة، فامض فيه قدماً .. بلا تردد ولا تأخر، ولا يأخذك القلق، أو الحيرة فيه، ولا تصبك فيه الوساوس والظنون، فصاحب العزيمة والشجاعة إذا اتخذ القرار، وصح عزمه على أمر.. توكل على الله ومضى لسبيله غير ملتفت يمنة أويسرة، ولم يبال بالعواقب، وتمثل بقول الشاعر:

إذا هـــمّ ألقـــى بـــين عينيـــه همّـــه

وأعــرض عــن ذكــر العواقــب جانبــا

أو يكون حالك كما قال الشاعر:

ســقوني وقــالوا: لا تغــن ولــو ســقوا

جبــال حــنين مــا ســقوني لغنّيــت

حاسب نفسك:

احتفظ بمذكرة لديك، لتحاسب بها نفسك، وتذكر فيها السلبيات الملازمة لك، وتبدأ بذكر التقدم في معالجتها، قال عمر: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر.

ثلاثة أخطاء تتكرر في حياتنا اليومية:

الأول: ضياع الوقت.

الثاني: التكلم فيما لا يعني: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".

الثالث: الاهتمام بتوافه الأمور، كسماع تخويفات المرجفين، وتوقعات المثبطين، وتوهمات الموسوسين، كدر عاجل، وهمٌّ معجّل، وهو من عوائق السعادة وراحة البال، يقول امرؤ القيس:

ألا عِم صباحاً أيها الطلل البالي
وهل يَعِمَنْ من كان في العُصُر الخالي
وهل يَعِمَنْ إلا سعيدٌ مُنعَمٌّ
قليل الهموم لا يبيت بأوجال

علَّم الرسول صلى الله عيه وسلم عمّه العباس دعاء يجمع سعادة الدنيا والآخرة: وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أسألك العفو والعافية[1].

كن سباقاً دائماً:

نعم! لابد أن تستمر في محاولة للوصول إلى أعلى المراتب وأقصى الدرجات من المجد والعظمة... عبر الجهاد والكفاح والتضحية بالنفس والنفيس، والرسول صلى الله عليه وسلم نفسه حثنا على أن نكون متميزين أصحاب فضل وتفرد، فقال: "كونوا كالشامة بين الناس يشار إليكم بالبنان".

وقال – أيضاً – في أسلوب معتز متحدث بفضل الله وألائه "أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحبش"[2].

---

[1] لا تحزن: ٢٠٥.

[2] أدب الدنيا والدين: ٢٧٣.

وقال مصطفى صادق الرافعي – وهو يحث على الإبداع والابتكار –: "إن لم تزد شيئاً على الحياة.. كنت أنت زائداً على الحياة".

وقالوا: الذي لا ينفع نفسه لا ينفعه الآخرون، ومن لم يتقدم يتقادم، ومن لم يتجدد يتبدد.

فإلى الأمام والأمام...

والبدار... البدار... إلى التقدم والازدهار.

كن عصاميا:

الناجحون أو العظماء نوعان:

النوع الأول: من العظماء من يعتمد على النجاح أو العظمة التي يرثها من آبائه الأكرمين، فيحرزها دون قتاد يؤذى به أو شوكة يشاك بها، أو قطرة عرق يذيبها، أو جهد جهيد يبذله، فمثل هذه العظمة ليست بعظمة حقيقية وإنما هي عظمة دون عظمة!.

والنوع الثاني: من العظماء من يبني عظمته بكد يمينه وعرق جبينه، وقد قال الحكماء: "العظيم يبني النجاح من النجاح، والأكثر عظمة يبني النجاح من حطام"، وقد سموا النوع الأول من العظماء بـ: "عظامي"، والثاني: بـ: "عصامي"، فالعصامي الذي تكون عظمته أصيلة خالصة، جناها ثمرة يانعة لبذور "الاجتهاد المتواصل، والعمل الدائم، والسهر المستمر" التي زرعها هو نفسه، ثم تعهدها بالسقي والري، حتى حصدها حبوبا كريمة وقطفها ثمارا يانعة من النجاح والعظمة والسمو والعلو، أما العظامي فهو من يعتمد في نجاحه وعظمته على آبائه الذين صاروا عظاما.

ثم "العصامية" مثل قاله الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني في عصام (حاجب النعمان بن المنذر ملك الحيرة):

ونفـــس عصـــام ســـودت عصـــاما

وعلمتـــــه الكــــر والإقـــــداما

وهذا المثل يضرب لمن: "يعتمد بعد الله على مواهبه وقدراته في تصريف الأمور بكل حنكة مستخرجا ما وراء الأكمة، لذا كانت العرب تقول: أنت عظامي أم عصامي؟ فالعظامي من يفتخر بآبائه دون أن يصبح ذاهمة عالية، والعصامي من يعتمد على نفسه بعد الله دون الاتجاه للآخرين.

ولكن لا بد من الإشارة إلى أن من جمع بين العصامية والعظامية فقد حاز المجد والظفر من جميع أطرافه، لذا قال المتنبي:

إذا لم تكـــن نفـــس النســيب كأصـــله

فمــــاذا تغـــــني كـــــرام المناصـــــب

وقال البحتري:

إن النجابـــــة لا يكـــــون تمامهـــــا

لنجيبـــة قـــوم لـــيس بـــابن نجيـــب

وعندما سأل الحجاج أحد الرجال عنده مختبرا له، أعصامي أنت أم عظامي؟ فقال: عصامي عظامي! فأعجب الحجاج بحسن إجابته وتخلصه، وجعله من خاصة نفسه"[1].

---

[1] جريدة: "الندوة" المكية، ١٠/محرم الحرام ١٤٢٢هـ.

فينبغـي للحـر الغيـور أن لا يقتنـع بالعظمـة الموروثـة الباليـة العظامية ، بـل يضـيف إليهـا : "أصـالة العظمـة" الـتي يحصـدها بجهـده الشخصي وكدحه الذاتي.

كن واثقاً:

هذا من أهم شروط النجاح ، فالثقة بالنفس وعدم إصابتها بالإحباط واليأس والقنوط من أولى دعائم التقدم ، فمن حرم هذه الصفة... صفة الثقة بالنفس والاعتماد على الذات – بعد التوكل على الله والاستعانة به – ما حالفه التوفيق ، ولم يقدر له البروز ، يقول طه حسين عن ذلك :

"هـذه خصـلة لازمـة للنجـاح في كـل شـيء.. كـبيراً كـان أو صـغيراً ، فالناس مدينون بالنجاح والتوفيق في أكثر ما ينجحون فيه ويوفقون إليه للثقة واليقين ، وللإيمان والإخلاص أكثر مما مدينون بذلك لما ينفقون من قوة وما يحتملون من مشقة وما يبذلون من جهد ومال"[1].

فلتكن – يا من يبغي النجاح – مملوءاً ثقة وطموحاً ، ثقة بالمواهب العظيمة التي أودعك الله إياها ، واعتماداً – قبل كل ذلك – على الله القادر المتعال ، وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

فكِّر بلغة تنطق بها:

هذا من أهم ما يجب أن يعنى به من يريد تعلم لغة ، فحاول – يا من يريد تعلم لغة – أن تفكر باللغة التي تريد أن تنطق بها ، فهذا أقرب

---

[1] مستقبل الثقافة في مصر : ٢/٢٤٣.

إلى الأصالة وأسهل وصولاً إلى مقصدك، وأبعد عن التكلف والتعمل، وأنفع مقصداً وأحسن تعبيراً عن فكرتك، وأروح وأيسر لأداء مهمتك... فهذا هو الطريق الطبيعي المباشر الأصيل البعيد عن التكلف. والاستكراه والإعنات، وإلى ذلك يشير كاتب العربية الكبير علي الطنطاوي بقوله:

"ثم إن الذي يحب أن ينطق بلغة عليه أن يفكر بها، لا أن يفكر بالعربية مثلاً ثم يترجم فكره إليها، أضرب لذلك مثلاً: أردت في (بروكسل) أن أركب سيارة أجرة، ففكرت فيما أقوله له، لو كنت في بلدي: أقول: خذني إلى محل كذا، فلما ترجمت له كلمة خذني... ضحك وتعجب مني، فقلت: أكلمه بالفصيح، فأقول كما كان يقول أجدادنا الأولون: (احملني إلى كذا) فلما سمع ترجمة (احملني) ازداد الخبيث كركرة وضحكاً، ذلك أنهم يقولون للسائق قدني.. لا يقولون: خذني، ولا يقولون: احملني[1].

استفد بأوقات السحر:

كن حريصاً أشد ما يكون الحرص على الاستفادة بوقت السحر، فإن لهذا الوقت المبارك المنعش للروح، المثير للعاطفة، المفجر للقريحة، الذي تتنزل فيه رحمات الله وبركاته بصفة خاصة.... دوراً لا يستهان به في تكوين الرجال وإعداد العظماء وصقل المواهب والقدرات.

من هنا... فقد ظل العلماء والأدباء والشعراء والكتاب من السلف

---

[1] ذكريات الطنطاوي.......

حراصاً على الاستفادة بوقت: "السحر" الذي يكون فيه ذهن الإنسان أنشط وأخف وأصفى ما يكون..، فهو – وقت السحر – لطيف ومنعش للروح والقلب والعقل، وملهم للمعاني والأفكار الخصبة، فأصحاب المواهب والقدرات الإبداعية يقدرون "وقت السحر" حق القدر، ويتمتعون به، ويتنسمون فيه لتنشيط قواهم العلمية والفكرية، وتزويد نفوسهم بغذاء طازج ونشاط جديد وروح جديد يمدهم في أداء رسالتهم والقيام بمهماتهم وأعمالهم.

خذ من كل علم:

قال يحيى بن خالد لابنه: عليك بكل نوع من العلم، فخذ منه، فإن المرء عدوّ ما جهل، وأنا أكره عدوّ شيء من العلم، وأنشد:

تفنن وخذ من كل علم فإنما
يفوق امرؤ في كل فن له علم

فأنت عدو للذي أنت جاهل
به ولعلم أنت تتقنه سَلْمُ[1]

اغتنم رياح العمر:

إذا هبت رياحك فاغتنمها
فعقبى كل خافقة سكون

ولا تغفل عن الإحسان فيه
فلا تدري السكون متى يكون

---

[1] أدب الدنيا والدين: ٢٨ -٢٩.

"قلما رأيتُ أمراً أمكن فضيّع إلا فات، فلم يمكن بعد"[1].

على طالب النبوغ والمجد أن يكون حريصاً على اغتنام الفرص المواتية، والاستفادة منها بقدر الإمكان، فلا يتحسر إذا ما مضى الوقت، ويقول: يا ليت....! ولات ساعة مندم:

كذلك هناك ساعات مباركة تنشط فيها النفس، ويشرح فيها الصدر، ويواتي الطبع، فعلى من يحظى بها أن يستفيد منها، وهذا معنى الأثر من كلام بعض الصحابة: "إن للنفوس إقبالاً وإدباراً، فاغتنموها عند إقبالها، وذروها عند إدبارها".

فينبغي لك – يا هاوي النبوغ والعظمة – أن تنتهز كل فرصة تلوح لك، وتغتنمها لصالحك ومستقبلك، فرب فرصة تكون نادرة ولا تتكرر....، حتى لا تتحسر ولا تندم، ولات ساعة مندم:

ومن قمة اغتنام رياح العمر: اغتنام "فرصة الشباب" التي هي مرحلة القوة بين الضعفين: "ضعفي الطفولة والشيخوخة"... كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

فإن مرحلة الشباب مرحلة اكتمال النضج والقوة والوعي والشعور، فبقدر ما تكون الاستفادة من هذه المرحلة الحيوية الأنشط الأقوى من مراحل عمر الإنسان، يكون النجاح أرجى منالاً وأيسر حصولاً.

من هنا... نرى أن جميع عظائم الأمور التي تمت في التاريخ.. قام بها الشباب لا كبار السن... إلا نادراً:

---

[1] رسائل ابن حزم: ١/٤٠٢.

فلابد من اغتنام مرحلة الشباب، وإلا تعود وبالاً وفساداً، كما قال الشاعر:

إن الفـــــراغ والشـــــباب والجـــــدة
مفســـــدة للمـــــرء أي مفســـــدة

استفد من الخطأ:

مما ينبغي لك – يا من يتوخى النجاح في أهدافه العالية – أن تجتنب الأخطاء بقدر الإمكان..، وتستفيد منها إذا صدرت منك، فالخطأ أو العثرة ليست بعيب، فالإنسان مركب من الخطأ والنسيان، وإنما الخطأ هو عدم الاستفادة من العثرة أو تكرر الزلل، فالعاقل من لا يكرر أخطأه، ويستفيد منها، وقد قالوا: "الغبي من يكرر خطأه مرتين، والذكي هو من يستفيد من أخطائه ولا يكررها، أما الأذكى فهو الذي يرى أخطاء الناس ويتعلم منها قبل أن يخطئ".

احرص على تعلم أكثر من لغة:

فإن هذا يتيح لك الفرصة على الاطلاع على ثقافة الآخرين والاستفادة مما تمخضت عنه قرائح نوابغهم من نفائس المعارف وروائع الأفكار والنظريات، وفوق ذلك كله... تعلمُ لغة الآخر يجعلك في مأمن من شرهم ومكرهم، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من تعلم لغة قوم أمن مكرهم"، فلتعلم لغات أخرى فوائد جمة، قال الشاعر:

بقـــدر لغـــات المـــرء يكثـــر نفعـــه
وتلـــك لـــه في الشـــدائد أعـــوان

فبـــادر إلى حفـــظ اللغـــات وفهمهـــا

فكـــل لســـان في الحقيقـــة إنســـان

شبه الكاتب المصري الشهير أحمد أمين الذي يقتصر على لغة واحدة بمن ينظر بعين واحدة، اقرأ وتمتع بما قال بهذا الصدد:

"....ماذا كنت أكون لو لم أجتز هذه المرحلة....؟ لقد كنت ذا عين واحدة، فأصبحت ذا عينين، وكنت أعيش في الماضي، فصرت أعيش في الماضي والحاضر، وكنت آكل صنفاً واحداً من مائدة واحدة، فصرت آكل من أصناف متعددة على موائد مختلفة، وكنت أرى الأشياء ذات لون واحد وطعم واحد، فلما وضعت بجانبها ألوان أخرى وطعوم أخرى تفتحت العين للمقارنة وتفتح العقل للنقد، لو لم أجتز هذه المرحلة... ثم كنت أديباً... لكنت أديباً رجعياً، يعنى بتزويق اللفظ لا جودة المعنى، ويعتمد على أدب الأقدمين دون أدب المحدثين، ويلتفت في تفكيره إلى الأولين دون الآخرين، ولو كنت مؤلفاً لكنت جمّاعاً أجمع مقترناً أو أفرق مجتمعاً من غير تمحيص ولا نقد، فأنا مدين في إنتاجي الضعيف في الترجمة والتأليف والكتابة إلى هذه المرحلة بعد المراحل الأولى، وهذه الزهرة الجديدة ألفت باقة مع الأزهار القديمة"[1].

اجعل شعارك: ماذا عملت في الفراغ:

نعم! اجعل شعارك دائماً أن تسائل نفسك: ماذا عملت في الفراغ...؟ فاحرص دائماً على أن لا تقصر في الاستفادة من أوقات الفراغ،

[1] حياتي: ١٦٠ -١٦١.

فأوقات الفراغ فرصة سانحة للعمل والتقدم، فمن أضاعها أضاع عمره، والرسول صلى الله عليه وسلم لفت أنظارنا إلى أهمية أوقات الفراغ وضرورة الاستفادة منها، فقال: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ".

فهاتان النعمتان العظيمتان لا يشعر بقيمتهما الإنسان — ككل نعمة — إلا بعد ذهابهما، فأوقات الفراغ هذه تلعب دوراً كبيراً في مساعدة الإنسان في طريق تقدمه إذا ما اغتنمها وعرف قيمتها، الكاتب المصري الشهير عباس محمود العقاد أجاد حينما كتب تحت عنوان: "تعلمت من الفراغ" ففيما يلي فقرات منه:

"أوقات العمل تملكنا... ولكننا نحن الذين نملك أوقات الفراغ، ونتصرف فيها كما نريد، فهي من أجل هذا ميزان قدرتنا على التصرف، وميزان معرفتنا بقيمة الوقت كله، وليست قيمة الوقت إلا قيمة الحياة.

فالذي يعرف قيمة وقته يعرف قيمة حياته، ويستحق أن يحيا وأن يملك هذه الثروة التي لا تساويها ثروة الذهب، لأن مالك وقته يملك كل شيء، ويصبح في حياته سيد الأحرار.

وليس معنى "وقت الفراغ" أنه الوقت الذي نستغني عنه ونبدده ونرمي به مع الهواء، ولكن وقت الفراغ هو الوقت الذي بقي لنا لنملكه ونملك أنفسنا فيه، بعد أن قضينا وقت العمل مملوكين مسخرين لما نزاوله من شواغل العيش وتكاليف الضرورة.

لابد من فراغ!.. ولابد من فراغ نحفظه، والفراغ الذي نحفظه هو

الذي يحفظنا، لأننا نستخلص فيه خير ما ندخره من غربلة التجارب والمعارف والعظات"[١].

وقال عمر بن الخطاب: الراحة للرجال غفلة، وللنساء غُلمة.

وقال بزر جمهر: إن يكن الشغل مجهدة، فالفراغ مفسدة.

وقال بعض البلغاء: لا تمض يومك في غير منفعة، ولا تضع مالك في غير صنيعة، فالعمر أقصر من أن ينفد في غير المنافع، والعاقل أجلّ من أن يُفني أيامه فيما لا يعود عليه نفعه وخيره.

التزم الوسطية:

الوسطية ميزة هذه الأمة، ﴿كَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وفي الحديث: "عليكم هدياً قاصداً"، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "عليكم بالنمط الأوسط، فإنه يرجع إليه الغالي، ويلحق به التالي".

وقالوا: تمام السعادة مبنيّ على ثلاثة أشياء:

١. اعتدال الغضب.

٢. اعتدال الشهوة.

٣. اعتدال العلم.

فيحتاج أن يكون أمرها متوسطاً، لئلا تزيد قوة الشهوة، فتخرجه إلى الرّخص فيهلك، أو تزيد قوة الغضب، فيخرج إلى الجموح فيهلك، "وخير الامور أوسطها".

---

[١] أنا: ١١٦، و: ١١٩.

فإذا توسطت القوتان بإشارة قوة العلم، دل على طريق الهداية، وكذلك الغضب: إذا زاد، سهُل عليه الضرب والقتل، وإذا نقص، ذهبت الغيرة والحميّة في الدين والدنيا، وإذا توسط كان الصبر والشجاعة والحكمة، وكذا الشهوة: إذا زادت، كان الفسق والفجور، وإن نقصت، كان العجز والفتور، وإن توسطت: كانت العفة والقناعة وأمثال ذلك[1].

وبعد! أخي طالب النبوغ وهاوي المجد والعظمة قدمت إليك — فيما مضى من الصفحات — من المعالم أو التوجيهات أو النصائح، أو سَمِّها ما شئت — ما لو عملت بها وجعلتها نصب عينك، فستنجح بإذن الله في مقصدك، وتنال من العز والعظمة ما تتوخاه وترجوه بإذن الله:

وفي ذلك كفاية إن شاء الله، فالميدان وسيع، والشوط بطين، ويكفي من العقد ما أحاط بالجيد.

ويصدق على المتهاون المتكاسل ما قيل:

إن الروض أخضر: ، ولكن العنز مريضة، وإن التمر مقفزي، ولكن البخل مروزي، وإن الماء عذب زلال، ولكن في الفم مرارة، ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة: ٢١١] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤، ويس: ٤٦].

وإذا كانت العلوم والمعارف منحا إلهية ومواهب ربانية، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسُر على كثير من المتقدمين، فكم ترك

[1] لا تحزن: ٢٨٩.

الأولـون للآخـرين، فليجتهـد المجتهـدون عسـى أن يظفـروا بمـا لم يظفـر بـه الذين سلفوا، فما ذلك على الله بعزيز، وهو على كل شيء قدير.

فمنح الله وعطاياه ليست خاصة بجيل دون جيل، أو قرن دون قرن، ولا إنسان دون إنسان، وإنما الأمر أمر الأسباب، فينسب إلى الشيخ عبد الفتاح أبو غده قوله: "**لم تكن هناك رحمة مخصصة للسلف بأنهم سلف يمنحون العلم من الله عز وجل، ولكن هناك أسباب أخذوا بها فوصلوا، ولم نأخذ بها فلم نصل**".

فمستقبلك – يا هاوي المجد والعظمة – بيدك، فإن شئت تكن سعيداً مغبوطاً عظيماً، وإن شئت تكن إنساناً نكرة شقياً، ولا يستسلم للقدر إلا من فقد إرادته، وأضاع إنسانيته، والله هو الهادي إلى الصواب، وبيده التوفيق.

لماذا قل العظماء والنوابغ في العصر الحاضر؟

(لعله من المناسب أن نختم هذه الدراسة بمقال لي نشر منذ زمان، تحدثت فيه – في إجمال – عن أسباب قلة العظماء في العصر الحاضر، فإلى القراء ذلكم المقال):

الثناء على عمل ـ بغض النظر عمن قام به أو عن جهة صدر عنها ـ يستحق التقدير والتحبيذ والتشجيع لصاحبه، والتنويه والإشادة والإعجاب به .... طبيعةُ الكرماء والشرفاء النبلاء، وصفة تنطق برحابة صدر حاملها واتساع أفقه، وصفاء ذهنه، وشرف منبته، ونجابة أرومته، ونظافة سريرته، وفوق ذلك كله ... إنها ـ صفة التشجيع والإشادة ـ تنبئ بتخلق صاحبها بخلق رباني قرآني كريم، فقد تكرر ذكر الله سبحانه وتعالى ـ لنبيه العظيم صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته الغر الميامين ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ والمؤمنين الأخيار الأطهار في إطار المدح والثناء في مواضع شتى من القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم: ٤)، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ (الفتح: ٢٩).

وهناك نصوص أخرى كثيرة ـ من الكتاب والسنة ـ تحث على المدح والثناء على أصحاب عملوا ـ أو يعملون ـ أعمالا تستحق المدح، وذلك تشجيعا لهم، وحثا إيّاهم على المزيد من القيام بالأحسن والأفضل ـ على

قدر المستطاع ـ من أعمال الخير والبر والنفع والطاعة والصلاح في جانب ...، وتحريضا للآخرين على الاقتداء بالذين صاروا أهلا للثناء، والسير على هديهم، والنهج على منهجهم في جانب آخر ... لكي ـ يستحق هؤلاء ـ أيضاً ـ ما استحق أولئك ... من لسان صدق وطيب ذكر وحسن ثناء وجزيل أجر...!

والحقيقة أن لتكريم العقول المبدعة، ورعاية النابهين والمتفوقين والنابغين، وكُليمات خير وحمد وثناء عديدة، تنطق بها شفتا إنسان نبيل مخلص كريم، دورا لا يستهان به في تنمية المهارات وإذكاء المواهب، وتفتيق القرائح، وتفجير القدرات وتوظيفها توظيفا صالحا سليما.

فكم من موهوبين ضاعوا حينما لم يشجَّعوا، ولم يحظوا بالتربية الجادة، والرعاية الكافية، والعناية المطلوبة من قبل أوليائهم، أو موجهيهم، أو من الجهات المختصة، وكم من مبدعين أصحاب كفاءات عالية لم يتمكنوا من استثمار قدراتهم الإبداعية وصقلها نتيجة الإهمال، أو عدم الرعاية، أوالمثبطات والعراقيل. ورحم الله سلفنا الصالح ـ من الأساتذة والمربين وأولياء الأمورـ الذين كانوا أحرص شيء على الكشف عن المتفوقين النبغة الواعدين من الأولاد والطلاب والشباب، ثم احتضانهم، ورعايتهم رعاية كاملة متمثلة في تشجيعهم بقسميه المادي والمعنوي، وتمكينهم من تنمية صلاحياتهم، والإثارة المستمرة للهمة والطموح والتطلع للمستقبل الأفضل فيهم، وكان يسرهم ـ الكبار والأساتذة ـ تقدم تلامذتهم أو صغارهم سرورا لا يوصف، سرور الوالد بنجاح ولده وتبريزه في أي مجال من المجالات

المشرفة، فإذا توسموا في طالب أو صغير أمارات النباهة، والنبوغ، والفطنة، والطموح .. خصوه بالرعاية والعناية، والمراقبة الشخصية الدقيقة على تحركاته وتوجهاته، وغدواته وروحاته، والنصح المستمر له بالكدح المتواصل، والتوفر على الدراسة وطلب العلم، وحثِّه الدائم على صقل قابليته الإبداعية بالتدريب والتمرين، وبذل أقصى الجهد في روم مطلبه، وعاملوه معاملة خاصة مشرفة مشجعة تجعله يستغرق جهده ويستنفد وسعه في الحصول على أنبل المراتب وأقصى الغايات، فـ:

بقـــدر الكـــد تكتســـب المعـــالي
مـــن طلـــب العلـــى ســـهر الليـــالي
تـــروم المجـــد ثـــم تنـــام لـــيلا
يغـــوص البحـــر مـــن طلـــب اللآلـــي

فهذا أستاذ يضع عمامته على رأس تلميذه ـ فرحا بصنيعه ـ أمام الجموع الحاشدة، وآخر يكرم تلميذه فيجلسه على المنبر أو على مكان جلوسه تقديرا لعمله، وثالث يثني على عناء تلميذه وكدحه في الطلب ونبوغه في العلم وأي فرع من فروع المعرفة، على ملأ من الناس.

فكانت تلكم المعاملة الأبوية المحبذة ـ من لدن الكبار والموجهين والمعلمين ـ تحرك همة الطالب، وتدفعه إلى أن يكون دائما في الحلبة مبرزا سابقا مجلّيا محرزا قصب السبق، وتحثه على صناعة حياته، وتكوين شخصيته تكوينا عصاميا مستقلا.

والكتب زاخرة بذكر مثل هذه المعاملات والحكايات التي تدل على دور الأساتذة الكبير في تكوين شخصيات تلاميذهم وتبريزهم، بتشجيعهم والاحتفاء بهم، وإبداء الإعجاب بذكائهم ونبوغهم، فهذا الإمام الشافعي رحمه الله لما جاء مالك بن أنس - إمام دار الهجرة - يتتلمذ عليه وكان ولدا صغيرا، فلما سمع كلامه أعجب به، وتوسم فيه علامات النبوغ المبكر والتفوق والطموح، وسأله عن اسمه، فقال: محمد، فقال: يا محمد! اتق الله....، واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن، وقد صدق تنبؤ الإمام المعلم - صاحب الفراسة الإيمانية - بما قاله في مستقبل تلميذه النابغة "الشافعي"، وعُد الشافعي من علماء الأمة الأعلام وأئمتها المتبوعين الأربعة الذين لقيت مذاهبهم من القبول ما لم يقدر لمذاهب الأئمة المجتهدين الآخرين، وألّف الشافعي كتابا - يعد مرجعا من المراجع الكبرى - "الرسالة"، يقول عنه المزني - وهو أحد تلاميذ الشافعي الذين لازموه بمصر -: "أنا نظر في كتاب "الرسالة" منذ خمسين عاما، ما أعلم أني نظرت فيه مرة، إلا وأنا استفيد شيئا لم أكن عرفته".

ثم استفاد هذه القاعدة أبو العباس بن سريح، ولكنه أتقن كتاب "المزني" فأدمن على القراءة فيه ومطالعته حتى قال فيه:

لصديق فؤادي منذ عشرين حجة

وصيقل ذهني والمفرج عن همي

عزيز على مثلي إعارة مثله

لما فيه من نسيج لطيف

جمـــوع لأصـــناف العلـــم بأســـرها
وآيتـــــــه ألا يفارقـــــــه كمـــــــي

وهناك أستاذ آخر للشافعي رحمه الله، وهو سفيان بن عيينة الذي لم تكن معاملته بأقل حفاوة وتكريما وتشجيعاً من معاملة مالك للشافعي، فكان الشافعي إذا كان في مجلس سفيان وجاءه شيء من التفسير أو الفتيا، التفت إلى الشافعي، وقال: سلوا هذا.

وهذا أستاذ ثالث ـ للشافعي ـ مسلم بن خالد الزنجي، فإنه كان يقول للشافعي ـ وهو ابن خمس عشرة سنة ـ: "قد والله آن لك أن تفتي.....".

لقد كانت تلك معاملة مالك وسفيان ومسلم الأساتذة المخلصين الناصحين للطالب النابغة الشافعي، فكيف كانت معاملة الشافعي الأستاذ مع تلامذته؟ فتذكر المصادر بهذا الصدد أن الشافعي كان يستفيد من أصحاب الاختصاص، وإن كانوا من تلامذته....، فها هو يقول للإمام أحمد بن حنبل ـ وهو تلميذه ـ أنتم أعلم بالحديث مني، فإذا صحّ عندك الحديث فقولوا لنا حتى آخذ به.

ويقول الحميدي ـ تلميذ الشافعي ـ: "صحبت الشافعي من مكة إلى مصر، فكنت استفيد منه المسائل، وكان يستفيد مني الحديث، وهذا من تواضعه ـ رحمه الله ـ وتمام نبله، وكمال عقله، فإن الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها[1].

---

[1] استفدنا في كتابة ما يتعلق بالشافعي من مقال منشور في مجلة "الجامعة" الصادرة عن جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ـ العدد: ٢٦٥).

هكـذا كـان المعلمـون المخلصـون العواطيـف الرحمـاء يحتضـنون تلاميذهم، احتضان الوالد لأولاده، ويولونهم كل رعاية وعناية واهتمام بحرصهم البالغ الشديد على صقل مهاراتهم، وتجلية قدارتهم، وتحسين كفاءاتهم بشتى أساليب التشجيع.

فكم تخرج نوابغ وعباقرة وعمالقة ـ من التلاميذ ـ على أيدي أمثال هـؤلاء الأسـاتذة المـوجهين والمـربين المخلصـين، الـذين كـانوا يتفـانون في تـربيتهم وتعليمهم وتهـذيبهم، وإثـارة روح الجد والمثابرة والطموح فيهم.

أما في العصور الأخيرة التي أصيبت فيها الأمة بالانحطاط والتراجع فكرا وعملا وسلوكا وقيما وخلقا ...، فقد تأثرت ـ فيها ـ هذه الناحية الهامة ـ هي الأخرى ـ أيضاً ـ ناحية عناية الكبار والأساتذة والمربين بتشجيع الصغار والتلاميذ، ورعاية الموهوبين، والحرص على تفعيل قدراتهم ودفع هممهم، وتكوينهم أناسا لامعي المستقبل، وإعدادهم رجالا للغد ـ المفعم بالعطاء ـ ينفعون أمتهم وبلادهم ومجتمعاتهم ويضيفون إضافات ثرة ذات قيمة إلى تراث الآباء والأجداد.

فقلّ الإخلاص ـ إذا لم نقل: تلاشى وانعدم ـ وندر المخلصون والمشجعون المعنيون بتربية النشء، وإعداده لليوم القادم إعداد جيدا، وحُرم طلاب وصغار اليوم الرعاية العظيمة، والعناية الفائقة، والعطف الكبير، والحنان الأبوى، والتشجيع المادي والمعنوي، والحرص الشديد على تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم وتكوينهم عظماء ... مما كان يحظى به سلفهم في الماضي!

أضف إلى ذلك تقصير الطلاب أنفسهم في الكد والجد والاهتمام بطلب العلم.

والنتيجة ظاهرة واضحة للعيان .. فقد قل ـ بل ندر ـ تخرج المتفوقين المبرّزين الذين يستطيعون أن يبتكروا أو يبدعوا أو يضيفوا شيئا ذا قيمة أو طرافة أو عمق أو جدة أو اعتبار، إنما هي تقليد ومحاكاة واجترار، وتكرار وجمود وتعطل وعقم عن الابتكار أو الإبداع.

ياليت الأمر توقف عند هذا الحد .... حد عدم التشجيع أو عدم التفريط، أو عدم التحبيذ، ولكنه تحول إلى أمر ذي شجون وهموم، أمرٍ يبكي الإنسان دما لا دمعا....!

فالقضية الآن ليست قضية عدم التشجيع، أو عدم رعاية الموهوب، أو عدم احتضان المتفوق النابغ، أو إهمال الواعد، بل وصلت إلى حد مستنكر، وغير معقول وغير مقبول ... لدى كل من رزق أدنى ذرة من النبل والخلق والفطرة السليمة.....!

فقد وصل الأمر إلى حد إجهاض إبداع المبدعين ونبوغهم، وإحراق أخضر النابهين ويابسهم، والقضاء على ملكات المبتكرين وابتكارهم، والقيام بالمحاولات الآثمة الدنيئة لتعريض مواهبهم للضياع والشلل والصدأ، وخلق أجواء تموت فيها الصلاحيات والقدرات حتف أنفها، أو استحداث ظروف تكفي لخنقها وإماتتها إماتة بطيئة صامتة.

والأدهى من ذلك والأمر أن البعض ـ من العظماء، وبالأصح:

المتعـاظمين! ـ يستـخدمون بـدهاء وشـطارة ـ مواهـب مـن هـم أصـغر مـنهم عمـراً أو أقـل شـأنا في المجتمـع ـ في تضـخيم شخصـياتهم وترفيـع قامـاتهم متطاولين على كواهلهم ـ الصغار النوابغ ـ باستغلال قدراتهم وإبداعاتهم استغلالا غير شـرعي وغـير خلقـي ....! ليمـاثلوا ـ زورا ووقاحـة ... وبـدون حياء أو خجل ـ العظماء والعباقرة الحقيقـيين الـذين أذابـوا حبـات قلـوبهم، وأنفقوا أغلى أيام حياتهم في جهد وكدح وعرق وعناء للوصـول إلى مرتبـة العظمة: "العصامية" الحقيقية.

وإلى الله المشتكي!

الفهرس

المراجع

(من الكتب والمجلات)

١. صيد الخاطر لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧هـ) المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٢. العود الهندي عن أماليّ في ديوان الكندي لعبد الرحمن بن عبد الله السقاف، دار المنهاج، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى.

٣. الأعمال الكاملة لمصطفى المنفلوطي، الدار النموذجية للطباعة والنشر، بيروت.

٤. ذكريات علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

٥. لا تحزن للدكتور عائض القرني، الطبعة العشرون، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، مكتبات ونشر العبيكان، الرياض.

٦. الأسطورة للدكتور عائض القرني، دار المنهاج، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، جدة، السعودية.

٧. الموسوعة الشرباصية، دار الجيل، بيروت، لبنان ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٨. أنا لعباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٩. حياتي لأحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السادسة.

١٠. أدب الدنيا والدين (لأبي الحسن علي بن محمد حبيب المصري

الماوردي المتوفى ٤٥٠هـ)، دار الكتاب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

١١. البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفى ٢٥٥هـ) شركة القدس، الدراسية، القاهرة، تحقيق ناصر محمدي محمد جاد، الطبعة الأولى.

١٢. البداية والنهاية لابن كثير.

١٣. رسائل ابن حزم.

١٤. حياتي لأحمد أمين، الطبعة السادسة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٩م

١٥. الوفاء بأحوال المصطفى.

١٦. العقد الفريد للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفى ٣٢٨هـ، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

١٧. تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان.

١٨. ألوان لطه حسين، دار المعارف، الطبعة السادسة، القاهرة.

١٩. كتاب المساكين لمصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٢٠. الأدب الكبير والأدب الصغير لعبد الله ابن المقفع، دار التقوى، القاهرة، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٥م.

٢١. مجلة: "الفيصل"، الرياض، العدد: ٣٠٥.

٢٢. مجلة: "اليمامة" الرياض، العدد: ١٦٩٨، ٩/محرم ١٤٣٢هـ.

٢٣. المجتمع (من مقال للأستاذ عمر إدريس الرماش، المغرب) العدد ١٤١٩هـ / ٢٨ جمادى الأخرى ١٤٢١هـ.

٢٤. مجلة الجامعة، جامعة الملك فهد بن عبد العزيز للبترول والمعادن، العدد ٢٦٥، ٤ جمادى الثانية ١٤٢٠هـ، (من مقال للأستاذ خالد بن عبد الله المزيني).

٢٥. مجلة المجتمع (الكويت) العدد ١٤٤٥، ١٣ محرم ١٤٢٢هـ، من مقال للدكتور هاشم عبد الرزاق هلال، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

٢٦. مجلة الرابطة، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ذو الحجة ١٤٢١هـ، العدد ٤٣٤، من مقال للأستاذ محمد رجاء حنفي.

٢٧. مجلة: "الرابطة"، العدد ٤٤٢، ٢٩ شعبان ١٤٢٢هـ.

٢٨. مجلة الصحوة الإسلامية، حيدرآباد، الهند، السنة ٣١، العدد: ٧٨، من مقال للأستاذ للدكتور خالد مرغوب أمين بعنوان: أهمية الإتقان والتقوى لتحقق الباحث بصفة العلم.

هذا. ومن باب رد الفضل إلى أهله أن اعترف بأنني استفدت كثيراً من: "لا تحزن" للدكتور القرني، في إعداد هذه الدراسة.

تعريف موجز بالمؤلف

- حصل على شهادة "العالمية" سنة ١٣٩٩هـ وشهادة "الفضيلة" سنة ١٤٠١هـ من كلية الشريعة بندوة العلماء، لكناو، الهند.
- حصل على شهادة "الليسانس" سنة ١٤٠٥هـ من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- مدير معهد التعليم والتربية، بالا غنج، لكناؤ.
- رئيس تحرير مجلة "الصحوة الإسلامية" العربية،ـ التي تصدر عن الجامعة الإسلامية دارالعلوم حيدرآباد،ـ الهند، سابقاً.
- رئيس المعهد العالي للغة العربية وآدابها بالجامعة الإسلامية دارالعلوم حيدرآباد،ـ الهند، سابقاً.
- له مشاركات في المؤتمرات والندوات العلمية والأدبية المحلية والدولية.
- له مئات من البحوث صدرت في المجلات المحلية والدولية تحت موضوعات علمية وأدبية وثقافية.

من مؤلفاته:

١. **الروائع والبدائع في البيان النبوي**، صدرت له ثلاث طبعات، طبعتان عن دارالصحوة بمصر، وطبعة عن دارالشهاب بدمشق.

٢. **خصائص اللغة العربية ولماذا يجب تعلمها؟**، صدرت له طبعتان، طبعة عن دارابن كثير في دمشق، وطبعة عن دارحسّان، حيدرآباد، الهند.

٣. **قبس من عزيمة سلفنا**، صدر عن دار حسّان، حيدرآباد، الهند.

٤. **اللحن في العربية بين غيرة السلف وعقوق الخلف**، صدر عن دار حسّان، حيدرآباد، الهند.

٥. **كتاب العربية والأدب، صدر عن دار حسّان**، حيدرآباد، الهند.

٦. **أساس اللغة العربية**، صدر عن دارابن كثير بدمشق.

٧. **إلى شباب المسلمين**، صدر عن دار ابن كثير بدمشق.

كتاب يحتوي مقالات لكبار العلماء كابن الجوزي والإمام الندوي، والأستاذ المودودي، والدكتور محمد إقبال وغيرهم، كما يضم الكتاب مقالا للكاتب، أيضا، بعنوان: "قبس من عزيمة سلفنا".

٨. **الإمام الندوي في محراب التاريخ الإسلامي**، صدر عن دارحسان العربية حيدرآباد، الهند.

٩. **رجال من العرب والعجم**، صدر عن دارحسان العربية حيدرآباد، الهند.

١٠. **صيد القلم** (مجموع مقالات وخواطر)، صدر عن مؤسسة الهداية للدراسات والبحوث الإسلامية، جيبور- الهند.

١١. **نظرة عابرة على ترجمات معاني القرآن الكريم باللغة الأردية، تحت التأليف.**

١٢. **نعم الله على نعمان**، صدر عن معهد التعليم والتربية، بالا غنج، لكناؤ.

١٣. **صيد القراءة (مجموعة مختارة من فرائد الكلام، ونفائس التعبيرات، ونوادر المعلومات، وطائفة من الأقوال السائرة الأردية مع مثيلاتها وأشباهها من العربية)**، تحت الطبع.

١٤. **حوار طلابي تمثيلي حول اللغة العربية**، جاهز للطبع.

١٥. **تحية العجم للعرب** (كلمات التحية والترحيب بكبار الضيوف العرب الذين زاروا الجامعة الإسلامية دار العلوم حيدرآباد)، جاهز للطبع.

١٦. **صدى القلم**، صدر عن معهد التعليم والتربية، بالاغنج، لكناؤ (الهند).

١٧. **عندليب الهند العربي: واضح رشيد الحسني الندوي**، صدر عن معهد التعليم والتربية، لكناؤ.

١٨. **خطابات فقيد الحرم، للدكتور عمر بن محمد السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة**، صدر عن معهد التعليم والتربية، لكناؤ.

١٩. **جيل الصحابة الأبر أفضل أجيال البشر**، صدر عن معهد التعليم والتربية، لكناؤ (الهند).

٢٠. **عقيدة التوحيد خصائص وحقائق**، صدر عن معهد التعليم والتربية، لكناؤ.

٢١. **نظرة عابرة على ترجمات معاني القرآن الكريم باللغة الأردية**، تحت التأليف.

مقالات ومؤلفات قام بتعريبها محمد نعمان الدين الندوي:

٢٢. **الجزء الثالث من رجال الفكر والدعوة للإمام الندوي**، ماثل للطبع.

٢٣. **قصة دراستي القرآنية للإمام الندوي**، طبع بدار ابن كثير بدمشق.

- كما قام بتعريب كتابات أخرى للإمام الندوي، والشيخ محمد برهان الدين السنبهلي وغيرهما من رجال الفكر والدعوة والعلم.



هذا الكتاب

وقد اعتمد المؤلف في وضع كتابه على أسلوب أدبي شيق مع مراعاة الأصالة في استعمال المفردات اللغوية والجمل المترادفة المعاني للتعبير عن ذات نفسه، مما له علاقة وطيدة بالابتكار الذي لا يحيد عن جادة العصامية والإبداع في بيان ما يبدو له من الأفكار والآراء التي لا تخلو عن التأثير في النفس ومن إنارة المعالم التي تضمن الوصول إلى الهدف الغالي المطلوب.

وذلك إن دل فإنما يدل على عبقرية القلم الذي يدبج ما يحتاج إليه القارئ من أسرار تتولى له السعادة والعز، وتمهد له الطريق نحو بناء مستقبل شامل لماع، بمشيئة الله تعالى.

والله ولي التوفيق والتوجيه.

(من تقديم الأعظمي للكتاب)